الوقوف القرآنية والمعايير البلاغية

د. صبحى رشاد عبد الكريم

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه واتبع هداه وبعد ..

فان العلم بما ينبغى أن يصنع فى الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجىء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ولطائفها . لذا فلا غرابة أن قالوا : ان البلاغة اذا اغتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كالآلىء بلا نظام .

وقد لفت نظرى أن أطفال المسلمين اذا مرنت ألسنتهم بقراءة القرآن الكريم جاء تعبيرهم تاما ، وكلماتهم متصلة ، ذلك لما تعودوه واعتادوه فى قراءة القرآن من ضرورة الوقف على هذه الكلمة ، وعدم القطع على تلك . حتى انك لو جئت الى أحدهم بعد أن أقرأته « كلا ان الانسان ليطغى » مرة أو مرات ، ثم جئت بعد ذلك تقطعها وقرأت أمامة (كلا أن الانسان) ووقفت تراه يكمل حتى آخر الآية لقد اقتيد أو قادته الفطرة بالضرورة الى أن للمبتدأ خبرا ولا يوقف على الأول دون الثانى حتى يتم المعنى . اذ بدون تمام المعنى لا تحدث فائدة ، وهى جل ما نقصده من وراء أحاديثنا وكلامنا .

يممت وجهى شطر علامات الوقف القرآنى استنطقها فتبين لى عن يقين أن كل ما ندرسه من معانى النحو وأحكامه لا فائدة ترجى من

ورائه الا بمراعاة هـذه الوقوف فهى لون من ألوان هندسـة التعبير ، وصورة من صور الألقاء ليس لها نظير .

فحتى لا يخلط الكلامان ، يقف القارىء وحتى لا يفهم غير المراد يصل كلامه وحتى يجمع بين النظير والنظير يسـتمر التلاوة ، وحتى تتحدد الأجزاء يطول النفس ولا تقطع القراءة .

لقد راعى علماء الوقف أثناء وضعهم علاماته فى المصحف الشريف حسن الفهم وجودة الأفهام حتى لا يؤتى السامع من سوء قراءة القارىء وبذلك بدت قراءته بمراعاة أحكام الوقوف متجانسة متكافئة دون خلل أو اضطراب .

وعليه فالخارج عن هذا النظام يسىء الى القرآن والى نفسه وهو لا يدرى ، فرب قارىء للقرآن والقرآن يلعنه .

ودراسة قانون الفصل والوصل من خلال الوقوف القرآنية تفتح بابا جديدا لمعالجة هذا الموضوع .

كما أنها منهج عملى فى ضرورة الالتزام كتابة ونطقا والمعول عليه هو الأخير ، لأن الخط المكتوب يستعان عليه بعلامات الترقيم أما القارىء والخطيب والمنشد شـعرا فوقوفه هى المحددة لمقاصـده ، والمبينة عن معـانيه .

ان الأعدل فى الوقف حيث يتم المعنى وليس ثمة تعلق بين ما يبتدأ به وما وقف عليه ، ودراسة الوقوف القرآنيـة تعين على التعرف على أنماط التعبير وتمييز ألوان الكلام ، فروح كل متحدث سارية فى أساليبه وبالوقف بين كلامين يعرف هذا من ذاك ، ولذا يتميز موضوع الالتفات وتتسع رقعته اذا ما درس تحت منظار الوقوف القرآنية .

وهذه دراسة لمـا قاله علماء الوقف نتعرف منها على أى أسـاس وضعت علامات الوقوف وما هى المعايير البلاغية التى تبنى على أساسها فتعلم أحـكام الوقف أمر واجب على قارىء القرآن الكريم باجمـاع

الصحابة رضوان الله عليهم فلا يؤخذ القرآن الا بالتلقى وقديما قالوا لا يؤخذ العلم من صحفى ولا يؤخذ القرآن من مصحفى • وقال تعالى « فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه » •

غاية البيان الفهم والأفهام :

« كان الامام ابراهيم بن محمد يقول : يكفى من خط البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء افهام الناطق ، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع • قال أبو عثمان : وأما أنا فأستحسن هذا القول جدا » •

ذلك أن البيان وظيفته اظهـــار المعنى ، وكشف كل الحجب دونه حتى يفضى السامع الى حقيقته ويهجم على محصـــولة لأن مدار الأمر والغاية التى يرجع اليها القائل والسامع انما هى الفهم والأفهام ، فبأى شىء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان فى هذا الوضع •

فالمعانى تحيا بذكرها ، والأخبار عنها ، واستعمال الأدباء لهـــا ، فبذلك تظهر ، وتقرب للفهم والعقل •

« فعلى قدر وضوح الدلالة ، وصواب الاشارة ، وحسن الاختصار ودقة المدخل يكون اظهار المعنى ، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصـــح وكانت الاشارة أبين وأنور كان البيان أنفع وأنجع ، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفى هو البيان الذى سمعت الله ــ تعالى ــ يمدحه ويدعو اليه ويحث عليه »(٢) •

مدخل الى الوقف والابتداء :

ان من المعلوم بالضرورة أن علم البلاغة أحـــد علوم العربية التى بها يعرف اعجاز كتاب الله تعالى من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب وما به من اعجاز بديع واختصار لطيف •

والبلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه فى نفسه لتمكنه فى نفسك مع صـــورة مقبولة ومعرض حســـن • هكذا عرفها أبو هلال

العسكرى ولا يتحقق ذلك الا بالعلم بأقدار السامعين وأقدار المعانى وما يتخير لها من معارض حتى يطابق المقال مقتضى الحال •

ومن أسرار البلاغة ولطائفها العلم بما يصنع فى الجمل ، وعطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجىء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى • هكذا قال الامام عبد القاهر •

لذا أثر عن السابقين : ان البلاغة اذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كاللآلىء بلا نظام •

فلهذا كانت نصائحهم لنكتاب والمنشئين : أن يقفوا عند مقاطع الكلام وحدوده حتى لا يختلط المرعى بالهمل فذلك أشد وأعيب من اللحن

كان أكثم بن صيفى اذا كاتب ملوك الجاهلية يقول لكتابه : افصلوا بين كل معنى منقض ، وصلوا اذا كان الكلام معجونا بعضه ببعض • ذلك لأن السير بالكلام كالمشى على الأقدام على الانسان أن يقدر لرجله قبل الخطو موضعها حتى يأمن العثرة ويهتدى الى الطريق •

قالت السيدة عائشة — رضى الله عنها — « ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد كسردكم هذا ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس اليه » بكلام بين فصل • وأثر عنه صلوات الله وتسليماته عليه أنه كان يعيد الحديث ثلاثا •

وفى حديث أكثم صيفى ، وطريقة كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ما يمكن أن يهدينا الى أن تناول الأساليب الأدبية كاملة دون الوقوف عند حدود المفردات أو الجمل كان أمرا منظورا اليه وبذا يمكننا أن نبدأ منه فنتناول الكشف عنه بين فقرات الموضوع الواحد ، والأفكار المختلفة التى تشتمل عليها النصوص لاسيما لو نظرنا الى ذلك من خلال الربط المعنوى أيضا دون التقيد بحروف العطف ، أو بالواو فقط

من بينها ، وبذلك يمكننا أن نرد ما وجه الى بلاغتنا العربية ما وجه اليها من القول بأنها تقتصر على بحث المفـــردات أو الجملة أو الجملتين دون أن نتعدى ذلك لتنظر فى النص الادبى كاملا ، وما ذكر فى بعض الألوان البديعية كحسن التخلص ، ورد العجز على الصدر والبدء والختـــام ، وحسن الائتلاف ، وغيره كان من الممكن بناء على هذه النظرة أن تعتبر فى دائرة الفصل والوصل •

واذا كان القرآن الكريم أنزله الله على قلب رسوله العظيم قرأه عليه جبريل كما قرأه عن رب العزة ، واذا كان من بين الكتب السماوية قد ميز بهذا الاسم الذى هو عليه علم (القرآن)،واذا كنا نتعبد به تلاوة فى المحاريب فى الصلاة وفى غيرها ، واذا كنا مطالبين تعلمه بالتلقى يتلقى الخلف عن السلف الى يوم القيامة ، واذا كان الله قد أمرنا بالســماع والانصات لقراءته ، وأمر قارئه أن يجود حـــروفه ويتقن أداءه فمن لم يجود القرآن فهو آثم،لأن الأخذ بالتجويد حتم لازم،اذا كان هذا وكثير غيره فان معرفة أمر الوقف والابتداء بلاغة أمر بات مفروضـــا علينا اذ هو أحد أسباب اعجاز القرآن الكريم ومظهر من مظاهر بلاغته لذا أوصى الدين بذلك •

فعن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه أن جبريل عليه الســـلام ، أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : اقرأ القرآن على حرف ، فقـــال ميكائيل استزده ، فقال : اقرأه على حرفين فقال ميكائيل استزده حتى بلغ سبعة أحرف ، كل حرف منها شاف كاف ما لم تختم آية عذاب بآية رحمة أو آية رحمة بآية عذاب » •

قال المقرىء أبو عمر : فهذا تعليم التمام (أى الوقف التام) من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام ، وظاهره دال على أنه ينبغى أن يقطع عن الآية التى فيها ذكر النار والعقاب ، ويفصل مما بعدها اذا كان ما بعدها ذكر الجنة والثواب ، وكذلك يلزم أن يقطع

على الآية التى فيها ذكر الجنة والثواب ، ويفصل مما بعدها أيضا ، أن كان بعدها ذكر النار والعقاب ، وذلك نحو قوله عز وجل : « فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » ـ البقرة/٨١ ـ هنا الوقف ، ولا يجوز أن يوصل ذلك بقوله : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات » ـ البقرة ٨٢ ـ وقطع على ذلك ويختم به الآية ، لأن الوصل يوهم مشاركتهم فى الجزاء السابق فى حين أنه يبدأ حكما جديدا مخالفا • ومما يؤكد ذلك ويوضحه ما روى تميم الطائى عن عدى بن حاتم ، قال : جاء رجلان الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتشهد أحدهما فقال : من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما ، ـ أى ووقف ـ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : قم واذهب بئس الخطيب أنت ، • ففى هذا الخبر أذان بكراهة القطع على المستبشع من اللفظ المتعلق بما تبين حقيقته ، وتدل على المراد منه ، لأنه عليه السلام ، انما أقام الخطيب لما قطع على ما يقبح اذ جمع بقطعه بين حال من أطاع ومن عصى،ولم يفصل بين ذلك ، وانما كان ينبغى له أن يقطع على قوله (فقد رشد) ثم يستأنف ما بعد ذلك،أو يصل كلامه الى آخره فيقول : «ومن يعصهما فقد غوى » واذا كان مثل هذا مكروها مستبشعا فى الكلام الجارى بين المخلوقين فهو فى كتاب الله عز وجل الذى هو كلام رب العالمين أشد كراهة واستبشاعا وأحق وأولى أن يتجنب •

وقد جاء عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : لقد عشنا برهة من دهرنا وان أحدنا ليؤتى الايمان قبل القرآن ، وتنزل السورة على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنتعلم حلالها وحرامها ، وآمرها وزاجرها ، وما ينبغى أن يوقف عنده منها •

ففى قول ابن عمر دليل على أن تعليم ذلك توقيف من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانه اجماع من الصحابة ـ رضوان الله عليهم •

وعن ميمون بن مهـران قال : انى لأقشعر من قراءة أقـوام يرى أحدهم حتما عليـه أن لا يقعد عن العشر(١) ، انمـا كانت القراء تقـرأ القصص(٢) وان طالت أو قصرت ، ويقرأ أحدهم اليوم « واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون » ـ البقرة / ١١ ـ قال ويقوم فى الركعة الثانية فيقرأ « ألا انهم هم المفسدون » ١٢ / البقرة ـ أى فى حين أنه رد على ما سبق من قول المنافقين فكان يجب أن يكون عقيبـة .

قال أبو عمرو : فهذا يعنى أن الصـحابة رضوان الله عليهم كانوا يتجنبون فى قراءتهم القطع على الكلام الذى يتصل بعضه ببعض ويتعلق آخره بأوله ، لأن ميمون بن مهران انما حكى ذلك عنهم اذ هو من كبار التابعين وقد لقى جماعة منهم فدل جميع ما ذكرناه على وجوب استعمال القطع على التمام وتجنب القطع على القبيح وحض على تعليم ذلك وعلى معرفته ، فأما القطع على الكافى الذى هو دون التمـام فمستعمل جائز وقد وردت السنة عن رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ به وثبت التوقيف عنـه باستعماله فعن ابن مسـعود قال : قال لى رسول الله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ اقرأ على ، فقلت له اقرأ عليك وعليك أنزل ؟ فقال : انى أحب أن أسمعه من غيرى . قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت « فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » ـ النساء / ٤١ قال فرأيته وعيناه تذرفان دموعا فقال لى حسبك .. أى يكفى هذا .

ألا ترى أن القطع على قوله (شهيدا) كاف(٣) وليس بتام ، لأن

---

(١) أى العشر آيات .

(٢) أى الآيات المربوطة بحديث واحد .

(٣) معنى الـكافى عند الدانى : هو الذى يحسـن الوقف عليـه والابتداء بما بعده غير أن الذى بعده متعلق به من جهة المعنى دون اللفظ

المعنى فكيف يكون حالهم اذا كان هذا « يومئذ يود الذين كفروا » ـ النساء / ٤٢ ـ ، لأنه انقضاء القصة وهو فى الآية الثانية وقد أمر عبد الله أن يقطع عليه دونه مع تقارب ما بينهما فدل ذلك دلالة واضحة على جواز القطع على الكافى ووجوب استعماله » المكتفى للدانى / ١٠٥ ـ ١٠٦ •

أطلت فى نقل نص الدانى لأوقف القارىء على : أن الوقوف توقيفية ، وان تعلمها واجب ، وأنها حلية القراءة ، وبها يعرف المبدأ والختام •

وأن على قارىء كتاب الله تعالى أن لا يخلط فى قراءته بأن يصل حيث يجب الوقف أو يقف ولم يتم المعنى • ونحن نصدر حديث « الفصل والوصل » فى بلاغتنا العربية بقول الصديق أبى بكر رضوان الله عليه عندما قال لرجل معه ثوب : تبعينى هذا الثوب ؟ فقال له الرجل : لا ، يرحمك الله ، فقال له الصديق : قد قومت ألسنتكم أو تستقيمون ، ألا قلت : لا ويرحمك الله •

وحكى أن المأمون قال ليحى بن اكثم : هل تغديت ؟ قال : لا وأيد الله أمير المؤمنين • فقال المأمون ما أظرف هذه الواو وأحسن موقعها وكان الصاحب يقول : هذه الواو أحسن من واوات الأصداغ •

وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : لقد عشنا برهة من دهرنا وان أحدنا ليؤتى الايمان قبل القرآن وتنزل السورة على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها ، وما ينبغى أن يوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن ولقد رأينا اليوم رجالا يؤتى أحدهم القرآن ما بين فاتحته الى خاتمته وما يدرى ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغى أن يوقف عنده ، وكل حرف منه ينادى : أنا رسول الله اليك ، لتعمل بى ، وتتعظ بمواعظى •

قال النحاس : فهذا يدل على أنهم كانوا يتعلمون الوقوف كما يتعلمون القرآن حتى قال بعضهم : ان معرفته تظهر مذهب أهل السنة من مذهب المعتزلة كما لو وقف على قوله «وربك يخلق ما يشاء ويختار» — ٨٨ / القصص فالوقف على (يختار) هو مذهب أهل السنة لنفى اختيار الخلق لاختيار الحق ، فليس لأحدهم أن يختار بل الخيرة لله تعالى — أخرج هذا الأثر البيهقى فى سننه ولذلك فأنت ترى الوقف لازم على (يختار) لماذا ؟ لقد تم المعنى على هذه الكلمة على أن (ما) التى بعدها نافية لنفى اختيار الخلق لا اختيار الحق ، أى : ليس لهم أن يختاروا ،بل الخيرة لله تعالى فى أفعاله وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه • قال أبو الحسن الشاذلى : غر من مختاراتك كلها الى الله تعالى فان من اختار شيئا لا يدرى أيصل اليه أم لا ، واذا وصل اليه فلا يدرى أيدوم ذلك أم لا ، واذا دام الى آخر عمره فلا يدرى أفيه خير أم لا ، فالخيرة فيما اختاره الله تعالى •

والوقف على يختار هو مذهب أهل السنة وترك الوقف عليه مذهب المعتزلة ، قال الزمخشرى :

« (ما كان لهم الخيرة) بيان لقوله (ويختار) لأن معناه ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى أن الخيرة لله تعالى فى أفعاله وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه • قيل السبب فيه قول الوليد بن المغيرة « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » يعنى لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل اليهم ، وقيل معناه : ويختار الذى لهم فيه الخيرة أى يختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح وهو أعلم بمصالحهم من أنفسهم من قولهم فى الأمرين ليس فيهما خيرة لمختار » •

والراجح أن الوقف على (ويختار) تام على أن (ما) نافية لأجماعهم على الوقف عليه وما بين جملة (ما كان لهم الخيرة) وما قبلها

ما بين التوكيد والمؤكد لذا لم تأت واو العطف فجاء الوقف مؤكدا أن المقام ليس للواو هنا لأن مفهوم الأولى هو مفهوم الثانية ، ثم جاء قوله (سبحانه الله) لتقرير ذلك والمبالغة فى تأكيده أى تنزه بذاته تنزها خاصا به من أن ينازعه أحد أو يزاحم اختياره ــ •

قال الألوسى : وجملة (ويختار) معطوفا على (يخلق) والوقف عليه تام •• وهو من الاختيار بمعنى الانتقاء والاصطفاء ، وكذا الخيرة بمعنى الاختيار بهذا المعنى ، والفعل متعد حذف مفعوله ثقة بدلالة ما قبله عليه أى ويختار ما يشاء ، وتقديم المسند اليه فى كل من جانبى المعطوف والمعطوف عليه لافادة الحصر وجملة (ما كان لهم الخيرة) مؤكدة لما قبلها حيث تكفل الحصر بافادة النفى الذى تضمنته والكلام مسوق لتجهيل المشركين فى اختيارهم ما اشركوه واصطفائهم اياه للعبادة والشفاعة لهم يوم القيامة •

ان معانى جمة تكمن فى المعرفة بأحكام الوقوف القرآنية وما تدل عليه من معايير بلاغية لا نضعها أمامك الآن بل ندلك عليها أثناء التحليل لبعض منها فعد عن ذلك لتعلم •

معنى الوقف ؟

ان سور القرآن تتفاوت طولا وقصرا ، وكل سورة منها تقرأ بالترتيل المشبه للتلحين المعين على الفهم المفيد للأثير ، وعلى اختلافها فى الفواصل وتفاوت آياتها فى الطول والقصر ،

وقديما أوجبوا على المنشىء شعرا أو نثرا أن يكون لكلامه قران ، أى رابط يربط أجزاءه ويؤاخى بين أبيات شعره فلا يقول الا البيت وأخاه ولا قيمة لذلك اذا روعى كتابة ولم يراع نطقا وانشادا ، فما جدوى أن يظل ذلك معلوما فى الطروس بعلامات الترقيم غير معهود عند النطق بالكلام •

لذا فالوقت على أجزاء الكلام توزيع لمعانيه وتنسيق بين أجزائه حتى يضم الجار الى جاره فلا يباعد بين المتقاربين ، ولا يفصل بين المتعاطفين ، فالرحم معلق بلسان الناطق من وصلها وصله الله .

يعبر الجرجانى عن ذلك فيقول : ان الصلة بين الكلمات والمعانى المتجاورة كالصلة بين الأرحام ، وأن الصلة بين الكلمتين أو المعنيين المتناسبين كالحلف الجارى مجرى النسب وأن المعنى أو الكلمة غير المناسبة لما حولها كالشخص الزنيم الدخيل النسب يلصق بالقوم فى نسبه الصاقا ولكنهم لا يقبلونه .

أفترى أنه لو حاز التركيب أو النص الأدبى القبول ، ثم ألقاه غير خبير بفن الأداء ،مطلع على ما به جودة الأنشاد فوقف حيث لا يحسن أو ابتدأ بما يقبح ألا يعفى ذلك من محاسنه ألا يخل بجودته ألا يوقع السامع فى حيرة فينصرف عن محدثه ولا يتلقى الكلام بالقبول ، أن الأمر عندئذ يصير كحال من يعرض على النظارة جمال صورة مصورة فيفتت أجزاءها ظانا أنه يعرض جمالها بينما هو يقضى عليها .

واذا انفرط العقد فان حباته مهما بلغت من الجودة لا توصف بأنها عقد لأنها تستمد جمالها من حيث أنها جزء فى هذا الكل ترتبط به وتتآخى معه وتتعاون فى اظهار شكل عام يحدث عظيم الأثر وجليل الفائدة .

فاذا وقفنا على موطن لابد أن نراعى الفائدة واذا ابتدأنا لابد أن نراعيها أيضا فنسكت حين يوجد التمام فى المعنى ونبدأ عندما نريد تقرير الجديد من المعانى . لقد راعى علماء القرآن ذلك وصنعوا اصطلاحات الوقف وعندما عرفوه فقالوا : الوقف :

هو قطع الصوت على الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة ، اما بما يلى الحرف الموقوف عليه ، أو بما قبله ويأتى فى رؤس

الآى وأوساطها ولا يأتى فى وسط الكلمة ولا فيما اتصل رسما ولابد من التنفس معه • النشر ١/٢٤ •

« وبه تتبين معانى الآيات ، ويؤمن الاحتراز عن الوقوع فى المشكلات ، وتعلم كيفية الأداء ، ويترتب على تحقيقه فوائد غزيرة ، واستنباطات كثيرة » البرهان ١/٣٤٣ •

وقال النكزاوى : باب الوقف عظيم القدر جليل الخطر لأنه لا يتأتى لأحد معرفة معانى القرآن ولا استنباط الأدلة الشرعية منه الا بمعرفة الفواصل(١) •

ولما لم يتفق المؤلفون فى هذا العلم على أنواع الوقف ولا على مواضعها نرى أن نقتصر فى بحثنا هذا على تحليل بعض مواطن الوقف اللازم ، والممنوع •

أقسام الوقف :

تقسم بعض العلماء الوقف الى أربعة أقسام : تام مختار ، وكاف جائز وصالح مفهوم وقبيح متروك وانكر آخرون هذا التقسيم وقالوا الوقف على ثلاثة أقسام : أحدهما مختار وهو التام والآخر جائز وهو الكافى الذى ليس بتام والقسم الثالث القبيح ، وعليه فيمكن عد الوقف على أنه اما جائز واما قبيح • وتحت الجائز أنواع •

قال أبو عمرو : والقول الأول أعدل عندى وبه أقول ، لأن القارىء قد ينقطع نفسه دون التمام والكافى فلا يتهيآن له ذلك عند طول

---

(١) وقال ابن الجزرى : وجب اختيار وقف للتنفس والاستراحة ، وتعين ارتضاء ابتداء بعده ، ويتحتم أن يكون ذلك مما لا يحيل المعنى ولا يخل بالفهم اذ بذلك يظهر الاعجاز ويحصل القصد ولذلك حض الأئمة على تعلمه ومعرفته •

القصة ، وتعلق الكلام بعضه ببعض ، فيقطع حينئذ على الحق المفهوم تيسيرا وسعة اذ لا حرج فى ذلك ولا ضيق فيه فى سنة ولا عربية .

وعلى أساس أن أقسام الوقف هى التام المختار ، والكافى الجائز والصالح المفهوم ، والقبيح المتروك سار الدانى فى كتابه المكتفى فى الوقف والابتداء(١) .

ولا يهمنا بيان أقسام الوقف بقدر ما يهمنا الأسرار الداعية اليه والمعايير البلاغية التى روعيت فيه.ذلك ، لأنه لا مشاحة فى الاصطلاح. وقد كثرت اصطلاحاتهم فى ذلك حتى لقد قال ابن الجزرى :

أكثر ما ذكر الناس فى أقسام الوقف غير منضبط ولا منحصر وأقرب ما قلته فى ضبطه أن الوقف ينقسم الى : اختيارى واضطرارى ، لأن الكلام اما أن يتم أو لا فان تم كان اختياريا ، .. وان لم يتم كان الوقف عليه اضطراريا وهو المسمى بالقبيح ، ولا يجوز تعمد الوقف عليه الا لضرورة من انقطاع نفس ونحوه لعدم الفائدة أو لفساد المعنى ، وقد يكون بعضه أقبح من بعض .

فالغرض من معرفة الوقوف على ذلك هو مراعاة المعنى أولا ، ثم جمال الأداء وحسن التلاوة ثانيا فعند علماء هذا الفن جواز الوقف على كذا وعدم جوازه على كذا يعنون به الجواز الأدائى الذى يروق فى التلاوة ويحسن فى القراءة ولا يريدون أنه حرام أو مكروه اللهم الا أن يقصد بذلك تحريف القرآن وخلاف المعنى الذى أراده الله . وبذلك تنعم

---

(١) طبع وزارة الأوقاف والشئون الدينية بالعراق ١٩٨١م ،ويوجد كتاب القطع والاستئناف لأبى جعفر النحاس ت أحمد خطاب وكتاب ايضاح الوقف والابتداء لأبى بكر الأنبارى ط دمشق ت د محيى الدين رمضان وكتاب منار الهدى للأشمونى ط مصطفى الحلبى .

الآذان بهذا اللون المتميز فى نطق الكلام تماما كما ينعم القلب والعقل بمعانيه وكما تتغذى روح المؤمن بهذه الروحية السارية فى كلماته ، المنسابة بين جمله وعباراته • ومن المطلوب فى عالم الكلمة وفى دنيا الانشاء أن يغذى القارىء السامع كما يغذى نفسه ، وأن يشربه معانى الكلام كما يشربها هو • ولا يكون هذا الا بحسن التلاوة واجادتها ولذلك الصحابى الذى أنصت رسول الله لقرائته : لو شئت لحبرته لك تحبيرا •

ان فى سماع كلام الله راحة وأنسا ، لذا لما فتر الوحى عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حزن حزنا عميقا وبلغ من شوقه الى هذا السماع أن كان دائم التطلع الى السماء عله أن يظفر بها الذى ناداه من قبل فيروى ظمأه ، وبدا ذلك لقريش كأنه يهم بالقاء نفسه من فوق الجبل وما كان كذلك ، ولكنها اللهفة الشديدة ، والنظر المتواصل الى السماء الذى لا يدرى السائر أثناءه أين يضع قدميه • حتى جاءه وحى الله بأن ربه ما ودعه وما قلاه : « والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى » •

والآن يجدر بنا أن نعلم أن تقسيم الوقف الى تام وغيره على أساس تعلق الكلام بعضه ببعض وما يترتب على ذلك من حصول الفائدة وتمام المعنى أو عدم ذلك وتلك هى قضية البلاغة العربية وليس لأوضاع الكلام ، واتحاد أجزائه ووضعها فى النفس وضعا واحد ليس لذلك حد يحصره أو قانون يحيط به •

ان تقسيم القراءة حسب الوقوف المعتمدة يترك للقارىء فرصة معاودة النفس فى هدوء وروية • ومعاودة العقل لما يقرأ فى أناة وتؤدة ولذا شرح الامام على كرم الله وجهه قوله تعالى « ورتل القرآن ترتيلا» بأنه تجويد الحروف ومعرفة الوقوف ولقد كان عبد الله بن عمر يطيق ختم القرآن فى أقل من خمسة أيام ومع ذلك لم يرخص له الرسول

فى أقل من خمسة ، لأمور منها أن يجد سعة من الوقت يسعى فيها على معاشه ، وأن تكون القراءة ترتيلا على الوجه الذى يليق بجلال القرآن وجماله • وعن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ • فقال كانت مدا ثم قرأ أنس : بسم الله الرحمن الرحيم ، يمد الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم يمثل بهذا قراءة رسول الله •

وفى الصحيحين عن ابن مسعود أن رجلا قال : انى أقرأ المفصل فى ركعة فقال : أهذا كهذ الشعر ؟ ان قوما يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، ولكن اذا وقع فى القلب فرسخ فيه نفع » •

ولا يكون الفهم والتدبر الا بالوقف المستأنى المتأمل ولو طال وامتد وقته ، قال بشر بن المعتمر فى وصيته : اذا لم تجد اللفظة واقعة موقعها ، ولا صائرة الى مستقرها ، ولا حالة فى مركزها ، بل وجدتها قلقة فى مكانها ، نافرة فى موضعها فلا تكرهها على القرار فى غير موطنها •

وقد عد النقاد من عيوب القوافى :

« أن يكون قافية الصراع الأول من البيت الأول على روى ينبىء أن تكون قافية آخر البيت بحسبه فيأتى بخلافه كقول عمرو بن شاس :

تذكرت ليلى لات حين ادكارها وقد حنى الاضلاع ضل بتضلال

فلما قال ادكارها أوهم أن الروى حرف الراء بوصل وخروج وردف قبله ثم جاء بالقافية على اللام •

وكذا قول الشماخ :

ان منزل عاف ورسم منازل عفت بعد عهد العاهدين رياضها»(١)

---

(١) سر الفصاحة / ١٨٠ •

ومن خلال كلامهم عن بعض أنواع الوقف تبينت أنه قد روعيت كثير من قوانين ومعايير البلاغة فكان من الواجب ابرازها .

« لا يقوم بالتمام فى الوقف الا نحوى عالم بالقراءات عالم بالتفسير والقصص وتلخيص بعضها من بعض عالم باللغة التى نزل بها القرآن . وكذا علم الفقه قال ذلك أبو بكر بن مجاهد .

فالأساس هو توخى معانى النحو على حسب الأغراض التى يقال فيها الكلام .

وعن الشعبى وهو من أئمة التابعين علما وفقها ومقتدى أنه قال :

اذا قرأت كل من عليها فان ، فلا تسكت حتى تقرأ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » الرحمن ٢٦ ، ٢٧ .

وقالوا ينبغى للقارىء أن يقطع الآية التى فيها ذكر النار أو العقاب عما بعدها اذ بعدها ذكر الجنة ، وتقطعها أيضا عما بعدها ان كان بعدها ذكر النار .

نحو قوله تعالى :

« وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار » هنا الوقف ولا يوصل ذلك بقوله « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم » ونحو « يدخل من يشاء فى رحمته » — هنا الوقف — ولا يوصل بما بعده « والظالمين أعد لهم عذابا أليما » .

قال ابن الجزرى متحدثا عن الوقف الاختيارى التام :

وكونه تاما لا يخلو اما ألا يكون له تعلق بما بعده البتة — أى لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى فهو الوقف الذى اصطلح الأئمة عليه (بالتام) قال الدانى : « وهو الذى يحسن القطع عليه والابتداء بما بعده لأنه لا يتعلق شىء مما بعده به وذلك عند تمام القصص وانقضائهن وأكثر ما يكون موجودا فى الفواصل ورؤس الآى كقوله

«وأولئك هم المفلحون» البقرة / ٥ والابتداء بقوله (ان الذين كفروا) » البقرة / ٦ لأن الآيات الكريمة من أول السورة حتى الآية رقم ٥ تتحدث عن قصة المتقين من حيث أنزل الكتاب هدى لهم وأنهم هم الذين من صفتهم الأيمان بالغيب واقام الصلاة وايتاء الزكاة وأنهم هم الذين يوقنون حقا بالآخر ولذلك استحقوا الهدى فى العاجل والفلاح فى الآجل • وأنت اذا رمت بيان تعلق كل آية بما قبلها من الآيات الخمس وجدت شدة تلاحم ، وقوة الأسر ، وجمال الترابط فالكتاب هدى للمتقين الذين يؤمنون ••• فهؤلاء الموصوفون بما ذكر على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ثم يبدأ كلام جديد عن الذين كفروا وقصتهم بعد الحديث عن المؤمنين وقصتهم •

وقد يوجد هذا النوع من الوقف بعد الفاصلة بكلمة « وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل » الصافات ١٣٧ ، ١٣٨ رأس الآية « مصبحين » والتمام (وبالليل) لأنه معطوف على المعنى أى فى الصبح وبالليل •

قال أبو عمرو : وقد يكون التام أيضا فى درجة الكافى من جهة تعلق الكلام من طريق المعنى لا من طريق اللفظ نحو قوله «وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا » الكهف/٤ هذا تام لانقضاء كلام الكفار ثم يبتدى بقوله « ما لهم به من علم » الكهف / ٥ لأن ما بعده مستغن عنه • وكذلك الوقف على (ولا لآبائهم) الكهف / ٥ تام أيضا ثم يبتدى بقوله « كبرت كلمة تخرج من أفواههم » الكهف / ٥ وهى مقالتهم « اتخذ الله ولدا » الكهف / ٤ وكذلك وما أشبهه مما يتم الوقف عليه باجماع من أهل التأويل وأصحاب التمام لانقضاء الكلام عنده واستغناء ما بعده عنه وما بعده منه أو من سببه من جهة المعنى فهو فى ذلك فى درجة للكافى •

فتأمل النظم من أول سورة الكهف حتى ذلك الموطن موطن التمام تجد أن الله لقن عباده كيف يحمدونه ، لأنه الذى أنزل الكتاب الذى

لا تناقض فى معانيه ولا اختلاف ولا يخرج منه عن الحكمة والأصابة لينذر الكافرين ويبشر المؤمنين بأجر حسن دائم ، وقوله وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلق بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به فى قوله (أن لهم أجرا حسنا) استغناء بتقدم ذكره .

فانظر صلة الذى بالله ووقوع الانزال على الكتاب الموصوف بعدم العوج ثم جاءت كلمة (قيما) تصل الآية الثانية بالأولى قال الزمخشرى : فان قلت ما فائدة الجمع بين نفى العوج واثبات الاستقامة وفى أحدهما غنى عن الآخر قلت فائدته التأكيد ثم انظر مكان اللام فى لينذر فى كونها تعليل لما تقدم من الانزال ووقوع الأنذار على البأس وصدوره من(لدنه) وحيث ان مهمة الكتاب الانذار والتبشير والتبشير للذين يعملون الصالحات بالأجر الحسن الدائم،وقد تقدم أن الانذار بالبأس الشديد يبقى الآن من الذين أنذرهم تأتى الآية الرابعة بأنهم الذين قالوا اتخذ الله ولدا ، وبذلك تم المعنى المقصود اعطاؤه .

ان لا وقف على (عوجا) بل سكت لتأصيل الصلة بين (عوجا) و (قيما) نطقا كما أنها متأصلة نظما ومعنى على أنها وصف للكتاب بالتكميل بعد وصفه بالكمال ، أو تأكيد لما دل عليه نفى العوج .

وما بين مطلع الآية الثانية (ماكثين) وما قبلها حال من الضمير المجرور فى لهم ولقد عطف قوله (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) على (لينذر بأسا شديدا) ايدل ذلك على المفعول المحذوف من (لينذر السابق) وأن هؤلاء فرقة خاصة ممن عمهم الانذار السابق من مستحقى البأس الشديد للأيذان بكمال فظاعة حالهم لغاية شناعة كفرهم وضلالهم أى وينذر من بين سائر الكفرة هؤلاء المتفوهين بمثل هاتيك العظيمة خاصة وهم كفار العرب .

ان الوقف التام أعلى مراتب الوقف وهو يتفاضل فى التمام فليس هو فى مرتبة واحدة ففى قوله تعالى « وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل » تام لكنه على (أفلا تعقلون) أتم ، لأنه آخر القصة .

مقتضيات الوقف التام :

من مقتضيات هذا الوقف الابتداء بالاستفهام ملفوظا به أو مقدرا، ومن مقتضياته أن يكون آخر قصة وابتداء أخرى ، وآخر كل سورة ، والابتداء بيا النداء غالبا ، والابتداء بفعل الأمر غالبا أو الابتداء بلام القسم ، أو الابتداء بالشرط لأن الابتداء به كلام مستأنف ، أو العدول عن الأخبار الى الحكاية ، أو الفصل بين الصفتين المتضادتين ، أو تناهى الاستثناء أو تناهى الاستثناء أو تناهى القوم أو النداء بالنهى أو النفى .

ففى كل هذه الصور ترى أن ثمة كلاما جديدا غير السابق الذى وقف عليه وأخذ فى أمر غير السابق وهذه الألوان هى ما يبتدأ به عادة. قال السخاوى : ينبغى للقارىء أن يتعلم وقف جبريل فانه كان يقف فى سورة آل عمران عند قوله (صدق الله) ثم يبتدىء (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا) والنبى صلى الله عليه وسلم يتبعه .

أما الوقف القبيح :

فانه تتفاوت مراتبه فى القبح حسب شدة تعلق اللفظ الموقوف عليه بما قبله . فبتر هذه الصلة وقطع هذا التعلق يترتب عليه تبدل المعنى، أو ايهام خلاف المراد . فعندما يكون الكلام معجونا بعضه ببعض فلا يحسن القطع .

فاعلم أن كل كلمة تعلقت بما بعدها وما بعدها من تمامها لا يوقف عليها ،كالمضاف دون المضاف اليه ، ولا على المنعوت دون نعته ما لم يكن رأس آية ولا على الشرط دون جوابه ولا على الموصوف دون صفته ولا على الرافع دون رافعه ولا على الناصب دون منصوبه ،

---

(١) منار الهدى ١٧/ والنشر ٢٢٣/١ .

ولا على المؤكد دون تأكيده ، ولا على المعطوف دون المعطوف عليه ، ولا على البدل دون المبدل منه ، ولا على أن ، أو كان،أو ظن وأخواتهن دون اسمهن ، ولا اسمهن دون خبرهن ، ولا على المستثنى دون المستثنى منه ، ولا يوقف على الموصول دون صلته ، ولا على الفعل دون مصدره، ولا على حرف دون متعلقه ولا على شرط دون جوابه سواء كان الجواب مقدما أو مؤخرا : فالمقدم كقوله : « قد افترينا على الله كذبا » لأن قوله (ان عدنا) متعلق بسياق الكلام والافتراء مقيد بشرط العود. والمؤخر كقوله « غير متجانف لاثم » فان قوله « فان الله » جزاء (من) فى قوله « فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لأثم فان الله غفور رحيم » .

ولا يوقف على الحال دون صاحبها ولا على القول دون مقوله ، ولا على المبتدأ دون خبره ولا على المميز دون تمييزه ، ولا على القسم دون جوابه ولا على القول دون مقوله لأنهما متلازمان كل واحد يطلب الآخر ، ولا على المفسر دون مفسره ، لأن تفسير الشيء لا حق به ، متمم له وجار مجرى بعض أجزائه » .

وهذا يكاد يكون حصرا لما يقبح الوقف عليه وهى صور من التراكيب كأن كل صورة منها وجد لا يفصل بعض أجزائه عن بعض والا بدا مشوه الصورة فالتراكيب العربية لم تعهد مبتدأ بغير خبر أو فعلا دون فاعل أو شرطا لا جزاء له وهكذا فهذه المسميات تصور ما تعرب عنه تصويرا دقيقا فلا يفصل بينها بالوقف حتى لا يختل المعنى وتشوه الصورة ويشذ النطق .

فلا نظم فى النطق الا ان روعى فيه روح النظم التى هى كما قال الامام عبد القاهر : « يعلق بعضه ببعض ، ويبنى بعضه على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك .

« ومحصول ذلك : أن تعمد الى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا، أو تعمد الى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر ، أو تتبع الاسم اسما على أن يكون الثانى صفة للأول أو تأكيدا له أو بدلا منه : أو تجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون صفة أو حالا أو تمييزا : أو تتوخى فى كلام هو لاثبات معنى ، أن يصير نفيا أو استفهاما أو تمنيا فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك أو تريد فى فعلين أن تجعل أحدهما شرطا فى الآخر فتجيء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى و بعد اسم من الأسماء التى ضمنت معنى ذلك الحرف وعلى هذا القياس .

واذا كان لا يكون فى الكلم نظم ولا ترتيب الا بأن يصنع بها هذا الصنيع ونحوه ، وكان ذلك كله مما لا يرجع منه الى اللفظ شيء ومما لا يتصور أن يكون فيه ومن صفته بأن بذلك أن الأمر على ما قلناه من أن اللفظ تبع للمعنى فى النظم وأن الكلم تترتب فى النطق بسبب ترتب معانيها فى النفس »(١) وانظر هذه الصور التى قبح الوقف فيها وبيان علل ذلك :

ان كل شيء كان تعلقه بما قبله كتعلق البدل بالمبدل منه أو أقوى لا يجوز الوقف عليه وأمثال هذه الوقوف فى القرآن وضع عليها رمز يدل القارىء هو (لا) أى لا يجوز .

ففى قوله تعالى « وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار» غافر/٦ هذا التام أى يحسن القطع عليه لأنه لا يتعلق شيء مما بعده به وذلك يكون عند تمام القصص وانقضائهن كما أن هذه رأس آية . والابتداء بقوله «الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ... » ٧ / لأنه تعلق بين هذه الآية بسابقتها .

---

(١) الدلائل ٥٥/٥٦ .

فاذا وصلنا الآيتين ووقفنا على قـوله (ومن حوله) ويجعل خاتما للآية فالقطع هنا لا يليق لأن الوصـل يوهم أن الذين يحملون العرش صفة لأصحاب النار وذلك خطأ ظاهر فينبغى أن يسكت على آخر الآية الأولى / ٥ ويبتدأ بالثانية / ٦ (لأن (الذين يحملون العرش) مبتدأ خبره (يسبحون) فهو ابتداء وكلام جديد حيث تم الكلام السـابق انها قصة جديدة تقابل القصة السـابقة استؤنفت كما يقول العـلامة أبو السـعود : لتسلية رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ببيان أن أشراف الملائكة عليهم السلام مثابرون على ولاية من معه من المؤمنين ونصرتهم واستدعاء ما يسعدهم فى الدارين » .

والاستئناف بلا واو هنا أوقع من أن يكون بها فلاشك أن وجود الواو هنا فيه شائبة مشاركة لا يلغيها الا الوقف على آخر الآية / ٥ فعدم الواو وكون الموطن رأس آية وتمـام الوقف يحتم علينا الى أى حد تطلب المعرفة بهذا العلم (علم الوقف والابتداء) .

والوقف تام على قوله تعـالى « يدخل من يشاء فى رحمتـه » الشورى / ٨ ولا يجوز أن يوصل بقوله (والظالمين) ويقطـع على ذلك وكذلك ما شبهه لماذا ؟ حتى لا يتوهم دخول الظالمين فى الرحمـة هذه واحدة لأن الواو لفظ مشاركة وبالوقف قبلها ينتحى عنها هذا المعنى.

والوقف على (ان الله لا يستحى) قبيح يوهم وصـفا لا يليق بالبـارى سبحانه وتعـالى لأن الفعـل مقيد بما وقـع عليه وهو (أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) فلابد أن يلاحظ أن المقصود تعلق الفعل بمفعول معين لا مجرد الفعل ، لان قبح الوقف هنا أبان أن الفعل متعلق بمفعول معين وأنه ليس القصد اليه مجردا بل القصد اليه باعتبار تعلقه بهذا المفعول . فالقاعدة أن كل كلمة تعلقت بما بعدها وما بعدها من تمامها لا يوقف عليها .

أرأيت أنه لو وقف على قوله تعالى « فويل للمصلين » لم يحسن ذلك اذ يوهم هذا الوقف أن الوعيد لا حق بكل مصل وليس ذلك مرادا فالوعيد لطائفة مخصوصة هم « الذين هم عن صلاتهم ساهون » فانظر كيف أحيا أمر الوقف تعلق كلمة (المصلين) بما بعدها وأنها بمثابة (المصلين الساهين المرائين المانعين الماعون) فالذين بدل من المصلين أو بيان لهم أو نعتا — ويجوز أن يكون مرفوع المحل •

فالوصل هنا أى عدم الوقف لعلة وهى ايهام خلاف المراد وهو الحكم على كل المصلين بالويل فى حين أنه لطائفة مخصوصة •

ولا يخفى أن الوقف على (بسم » من البسملة ، مالك ، ورب • والابتداء بقول الله ، يوم الدين ، والعالمين قبيح ، لأنه اذا وقف على شىء من ذلك لم يعلم الى أى شىء أضيف ولا يحسن الوقف فى تلك الحالة الا بتمام المضاف مع المضاف اليه فهما كالكلمة الواحدة وأجزاء الكلام يستدعى بعضه بعضا •

والجملة من القراء وأهل الأداء ينهون عن الوقف على هذا الضرب القبيح وينكرونه ويستحبون لمن انقطع نفسه عليه أن يرجع الى ما قبله حتى يصله بما بعده • فان لم يفعل فلا اثم ، لكن تظل هناك فجوة لا يملؤها الا بعملية الربط هذه لأن نقاد الكلام أوجبوا على المنشىء أن يقول البيت وأخاه لا البيت وابن عمه حتى يكون لشعره قران •

وقال ابن جنى : والصفة ان جرت على الموصوف آذنت بتمامه وانقضاء أجزائه، والأعدل فى الوقف أن يكون حيث يتم المعنى وليس ثمة تعلق يبين ما وقف عليه وما يبتدأ به ، لذا نرى الوقف يحسن فى أواسط الآى وان كان الأغلب فى أواخرها فالمعتبر المعانى والوقف تابع لها

---

(١) الخصائص ٣/٢٥٨ •

فكثيرا ما تكون آية تامة وهى متعلقة بأخرى ، لكونها استثناء والأخرى مستثنى منها ، أو حالا مما قبلها ، فلهذا قد يكون الوقف حسن ولكن الابتداء قبيح كما اذا وقفت على قوله :

« يخرجون الرسول واياكم » ١ الممتحنة • لكن الابتداء بقوله (واياكم) قبيح لفساد المعنى اذ يصير تحذيرا عن الايمان بالله تعالى • وعلماء البلاغة قد ذموا الابتداءات القبيحة التى يتطير منها •

أنشد ذو الرمة هشام بن عبد الملك قصيدته المائية فلما ابتدأ وقال :

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلى مغرية سرب

قال هشام : بل عينك أنت •

ودخل بعض الشعراء على الداعى العلوى فى يوم مهرجان فأنشده :

لا تقل بشرى ولكن بشريان غرة الداعى ويوم المهرجان

فضربه خمسين عصا وقال اصلاح أدبه أبلغ فى ثوابه(٢) •

وقد يشتد القبح اذا وقف على ما يحيل المعنى نحو الوقف على قوله تعالى « وان كانت واحدة فلها النصف ولأبويه » ثم يقطع على ذلك لفساد المعنى بهذا الوقف ، لأن المعنى على هذا الوقف أن البنت مشتركة مع أبويه فى ذلك النصف • فى حين أن للبنت النصف ثم استأنف فقال ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد ، الى آخر ما ذكر للأبوين بما يجب للأبوين مع الولد ثم بدونه •

وكذا الوقف على قوله تعالى « انما يستجيب الذين يسمعون والموتى ، ثم يقطع • اذ الوقف عليه يقتضى أن يكون الموتى يستجيبون

---

(٢) سر الفصاحة ١٦٩ •

مع الذين يسمعون وليس كذلك بالطبع ، بل المعنى أن الموتى لايستجيبون وانما أخبر الله عنهم أنهم يبعثون مستأنفا بهم أن الوقف على (يسمعون) يلزم حتى لايحدث ذلك الوهم وبذلك ينحى عن الواو معنى العطف ويصير الاستئناف هو المراد •

وهذه الوقوف غير الجائزة كثيرا ما يقع القراء فيها لاسيما من يقرأ تلاوة لحرصه على النفس فيقف على بعض الكلمة دون بعض ثم يبنى على صوت غيره ويترك ما فاته ومثل ذلك ما لو بنى كل واحد على قراءة نفسه اذ لابد أن يفوته ماقرأه بعضهم والسنةفىقراءة القرآن المدارسة وهو أن يقرأ شخص ضربا ويقرأ الآخر عين ما قرأه الأول ، وهكذا أقرأ جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فى رمضان فكان جبريل يقرأ أولا ثم يقرأ النبى صلى الله عليه وسلم عينما قرأه جبريل قال تعالى « فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه •

وعدوا مما اشتد قبحه الوقف على القول دون المقول نحو «وقالت اليهود ، ثم يبتدىء (عزير بن الله) و (قالت النصارى) ثم يبتدىء (المسيح ابن الله) أو قالت اليهود ، ثم يبتدىء « يد الله مغلولة » وأشباه ذلك مما فيه الفصل بين القول والمقول •

لذلك فقد رأى السجاوندى أن من الواجب الوقف على بعض المواطن التى اذا لم يوقف عليها لأوهم الوصل خلاف المراد •

الوقف اللازم ، معناه ، دواعيه •

يتأكد استحباب هذا الوقف لبيان المعنى المقصود وهو ما لو وصل طرفاه لأوهم معنى غير المراد وهذا الذى أصطلح عليه السجاوندى (لازم) وعبر عنه بعضهم بالواجب ، وليس معناه الواجب عند الفقهاء

يعاقب على تركه كما توهمه بعض الناس ويجىء هذا فى قسمى التام ، والكافى وربمـا يجىء فى الحسن (١) .

فالغرض الأساسى الفهم والافهام ، دون لبس أو خفاء فاذا ما كان الوصـل لا يحقق ذلك لزم الوقف على ما يدرأ اللبس ويزيل الخفـاء ويتضح به المعنى وحتى لا يتوهم خلاف المراد . وعلامة هذا الوقف فى المصاحف حرف (م)

ففى قوله تعالى « ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم » ٦٥ / يونس .

يلزم الوقف على كلمة (قولهم) لئلا يوهم الوصل أن جملة (ان العزة ..) الخ .

من قولهم ، وقد سبق أن الفصل بين القول والمقول قبيح وجملة (ان العزة لله جميعا) ليست مقول القـول . والوقف على كلمة قولهم هو الذى ينفى توهم أن مقول القول جملة (ان العزة لله جميعا) .

ذلك أن هذه الجملة جاءت مسـتأنفة بعد الوقف الذى كان بمثابة لذلك لأنه بالوقف تأكد لدى القارىء والسامع خصوصا أن الأمر مبنى على الاستئناف « وان كان من المستحيل أن يتوهم أحد أن هذا من مقول المشركين لو قالوا ذلك لم يكونوا كفـارا ولا حزن النبى صلى الله عليه وسلم . وانما هو جواب سؤال مقدر كأن قائلا قال لم لا يحزنه ذلك وهو مما يحزن ؟ أجيب بقوله (ان العزة لله جميعا) ليس لهم منها شىء ولو وصل لتوهم كون الضمير الى الأولياء أى المذكورين فى الآيات السابقة على هذه الآية « ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون الذين

---

(١) النشر ٣٢٤/١ .

آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ولا يحزنك قولهم ٠٠) ٠

وقول الأولياء لا يحزن الرسول بل هو مستأنف تسلية عن قول المشركين « وانما وجه النهى الى قولهم للمبالغة فى نهيه صلى الله عليه وسلم عن الحزن كما أن النهى عن التأثير نهى عن التأثر بأصله ونفى له بالمرة وقد يوجه النهى الى اللازم والمراد هو نهى الملزوم كما فى قولك : لا أرينك ههنا تخصيص النهى عن الحزن بالأيراد مع شمول النفى السابق للحزن أيضا لما أنه لم يكن فيه صلى الله عليه وسلم شائبة خوف حتى ينهى نفسه ، وربما كان يعتريه صلى الله عليه وسلم فى بعض الأوقات نوع حزن فسلى عن ذلك ، وقوله تعالى (ان العزة) تعليل للنهى على طريقة الاستئناف ٠ أى الغلبة والقهر (لله جميعا) أى فى ملكه وسلطانه لا يملك أحد شيئا منها أصلا لاهم ولا غيرهم فهو يقهرهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم ٠

وقد كان كذلك فهى من جملة المبشرات العاجلة ، وقرىء أن بفتح أن على صريح التعليل أى لأن العزة لله (١) ٠ قال أبو البقاء (ان العزة) مستأنف والوقف على ما قبله ٠

ومثل هذا الوطن قوله تعالى « فلا يحزنك قولهم : أنا نعلم ما يسرون وما يعلنون) يس / ٧٦ ٠ لئلا يصير جملة (انا نعلم) مقول الكفار الذى يحزن النبى صلى الله عليه وسلم والقراءة المتواترة كسر همزة (انا نعلم) ٠ قال ابن قتيبة : « ولو أن قارئا قرأ (فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون) وترك طريق الابتداء بـ (ان) وأعمل القول فيها بالنصب على مذهب من ينصب أن القول كما ينصبها بالظن لقلب المعنى عن جهته وأزاله عن طريقه وجعل النبى عليه السلام

---

(١) تفسير أبو السعود الآية ٠

محزونا لقولهم انا الله يعلم ما يسرون وما يعلنون وهذا كفر ممن تعمده وضرب من اللحن لا تجوز الصلاة به ، ولا يجوز للمؤمنين أن يتجوزوا فيه (٢) » .

واذا كان الاستئناف يثرى المعانى وينشط الذهن كى يسأل وكان الوقف معينا على ذلك وتطبيقا عمليا على تلك الأحكام حيث قام الوقف فى كثير من مواطنه مقام ترك الواو فاقرأ معى هذه الآية .

« لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبيـــاء بغير حق ونقول ذوقوا عـــذاب الحـــريق » آل عمران / ١٨١ . واحفظ عنى ما أقول : ان الوقف يقبح على (قالوا) الأولى للفصل بين القول والمقول ويقبح الابتداء ـــ (ان الله فقير) حيث يوصف الله بما يستحيل عليه سبحانه (لأنه هو الغنى الحميد) ، لهذا فالوقف على كلمة (أغنياء) يبعد ذلك القبح ، لماذا ؟ لأن بذلك تم المعنى الذى حكاه الله عن اليهـــود لعنهم الله فالوقف تام ويلـــزم ، لهذا قال الأشمونى (لقد سمع الله قول الذين قالوا) ليس بوقف لقبح الابتداء بما بعده ، ويوهم الوقوع فى محذور ، وان اعتقد المعنى كفر سواء وقف أم لا ، وان اعتقد حكايته عن قائليه غير معتقد معناه فلا يكفر ، لأن حاكى الكفر لا يكفر ،ووصله بما بعده أسلم ، وينبغى أن يخفض بها صوته حذرا من التشبيه بالكفر (ونحن أغنياء) تام اذ لو وصله بمابعده لصار ما بعده من مقولهم ، وهو اخبار من الله عن الـــكفار » ويرجح ذلك القراءة الثانية (سيكتب ما قالوا) بالبناء للمفعول (وقتلهم) بالرفع

وعليه فان مابين جمـــلة (سنكتب) وما قبلها ما بين الســـؤال والجواب . قال الشوكانى : وجملة (سنكتب) على هذا مستأنفة جوابا

---

(٢) مشكل القرآن /١٥ .

لسؤال مقدر كأنه قيل : ماذا صنع الله بهؤلاء الذين سمع منهم هذا القول الشنيع فقال : سنكتب قال ابن كثير : انها تهديد ووعيد ولهذا قرنت بقوله (وقتلهم الأنبياء بغير حق) أى هذا قولهم فى الله ، وهذه معاملتهم لرسل الله ، وسيجزيهم الله على ذلك شر الجزاء ولهذا قال تعالى « ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد .

وبذلك تتناغم الوقف مع عطاء التعبير وأبرز المعنى المراد دون خلل أو تقصير . — ويلزم الوقف على كلمة (قالوا) فى قول الحق تبارك وتعالى حكاية عن اليهود (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء » ٩٤ / المائدة .

وقال الأشمونى : (مغلولة) جائز عند بعضهم أى ممنوعة من الانفاق وهذا سب الله تعالى بغير ما كفروا به ، وتجاوزه أولى ليتصل قوله (غلت أيديهم) وهو جزاء قولهم يد الله مغلولة » ومقصود الأشمونى من الوصل وعدم الوقف على كلمة (مغلولة) تعجيل الجزاء بالدعاء عليهم بأن تغل أيديهم وأن يلعنوا بما قالوا . فحساسية الايمان الحق لا تسكت على خصيم وفور التوحيد اذا ملأ القلوب وانشرحت به الصدور تستدعى سرعة نفى الشوائب والقضاء عليها وهو ملحظ لاشك بديع . « وانما لم يقل فغلت أيديهم بالفاء مع أن الجزاء يناسب فاء التعقيب ليكون قوله (غلت أيديهم) كالكلام المبتدأ به فيزيده قوة ووثاقة لأن الابتداء بالشىء يدل على شدة الاهتمام به وقوة الاعتناء بتقريره (١) » .

والوقف يلزم على قوله (بما قالوا) لأن الوصل يصير قوله (بل يداه مبسوطتان) من مول اليهود ومفعول (قالوا) وليس كذلك ،

---

(١) النيسابورى على هامش الطبرى فى هذه الآية .

بل هو رد لقولهم (يد الله مغلولة) ، (مبسوطتان) ليس بوقف لأن قوله (ينفق) من مقصود الكلام فلا يستأنف • قال الثورى : ومن الآداب اذا قرأ نحو (وقالت اليهود يد الله مغلولة) أو (وقالت اليهود عزيز ابن الله) وقالت النصارى المسيح بن الله من كل ما يوهم أن يخفض صوته بذلك اذ كل ماخطر بالبال أو توهم بالخيال فالرب جـل جلاله على خلافه •

على أنه يجب أن يلاحظ فى هذه الوقوف أن جملة (غلت أيديهم) دعاء عليهم بالبخل المذموم والمسكن أو بالفقر والنكد أو بغل الأيدى حقيقة بأن يكونوا أسـارى مغلولين فى الدنيا ويسحبوا الى النـار بأغلالها فى الآخرة فتكون المطابقة حينئذ من حيث اللفظ وملاحظة المعنى الأصلى كما فى قولهم : سبنى سب الله دابره ، ولعنوا عطف على الدعاء الأول أى أبعدوا من رحمة الله تعالى بما قالوا أى بسبب ماقالوا من الكلمة الشنعاء • وقيل الجملتان خبريتان •

وسواء كانتا خبريتين أم دعائيتين فليستا معطوفتين على ماحكى عن اليهود لأن ما حكى عنهم منسوب اليهم وما رد الله به منسوب اليه لذا لم يعطف لئلا يختل المعنى والوقف يترجم ذلك وضـوح المعنى فهو تنسيق للالقاء حسب تنسيق المعانى • وترتيبها فى النفس •

أما عن موقع قوله (بل يداه مبسوطتان) فهى عطف على مقدر يقتضيه المقام أى ليس الأمر كذلك بل هو فى غاية الجود(٢) • وتثنيـة اليد لافادة الكثرة اذ غاية ما يقبله السخى من ماله أن يعطى بيديه(٣) •

---

(١) منار الهدى الآية •
(٢) أبو السعود / الآية •
(٣) الجلالين ١/٥٠٨ •

وفى جملة (ينفق كيف يشاء) وجهان : أحدهما ــ وهو الظاهر أن لامحل لها من الأعراب لانها مستأنفة . وعلى ذلك يصح الوقف على (مبسوطتان) الوجه الثانى أنها فى محل رفع لأنها خبر ثان ليداه فكيف فى هذا التركيب شرطية نحو كيف تكون أكون ومفعول المشيئة محذوف وكذلك جواب هذا الشرط أيضا محذوف مدلول عليه بالفعل المتقدم على كيف والمعنى ينفق كيف يشاء أن ينفق (٤) . فحذف مفعول يشاء . فسواء كانت جملة (ينفق كيف يشاء) استئنافية أم خبرا ثانيا ليداه فهى من مقصود الكلام فالأحسن الوصل و (مبسوطتان) ليس بوقف .

لكنه قد ورد فى سبب نزول هذه الآية أنه لما ضيق الله على اليهود لما سألهم الانفاق فلم ينفقوا أنهم قالوا ما قالوا (يد الله مغلولة) فجاء الرد عليهم ليس الأمر كذلك بل يداه مبسوطتان بالعطاء ، فكأنهم قالوا ان كان كذلك فما باله ضيق على اليهود ؟ وأجيب : بأنه سبحانه : ينفق كيف يشاء ،فانفاقه لحكمة . وعليه فجملة (بل يداه مبسوطتان) وقف مطلق . وكذا رأى النيسابورى .

وكما لعن الله اليهود بسبب جراءتهم على الله ، كذلك كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ، وقالوا ان الله ثالث ثلاثة .

قال تعالى « لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ، وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم » ٧٣ / المائدة .

لما يترتب على الفصل بين القول والمقول ، ولقبح البدء بقوله (ان الله ثالث ثلاثة) لمنافاة ذلك الحق ، اذاً يلزم الوقف على (ثالث ثلاثة) فبهذا تم المعنى وانتهت قصة الحكاية عنهم ، فما مكان بجملة

---

(٤) حاشية الجمل على الجلالين ١/٥٠٨ .

(وما من اله الا اله واحد) ؟ هى جملة مستأنفة لترد عليهم ما قالوا ، ولو عطف على ماقبلها لتوهم أنها من مقولهم وهذا تناقض لأنها لو كانت من مقولهم ما كفروا .

لقد أكد الوقف معنى الاستثناء فى الواو وأبعد عنها معنى المشاركة والعطف تماما . وتبقى جملة (ومامن آله الا اله واحد) تؤكد معنى الوحدانية وتنشرها على مسامع العالمين .

الوقف على ما لايجوز الوقف عليه ، والوقف على ما يلزم الوقف عليه تجنب مراعاة أحكامها والتنبه عند القراءة لما يترتب على الاخلال بذلك فمتعمد هذا يدخل تحت قوله صلى الله عليه وسلم : « رب قارىء للقرآن والقرآن يلعنه» والله تعالى يقول : (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) . ويقول (ورتل القرآن ترتيلا) .

ويسخر الكفار من المؤمنين فى الدنيا ويوم القيامة ترى الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون .

قال تعالى « زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة » ٢١٢ / البقرة .

يلزم الوقف على (آمنوا ، والابتداء بقوله (والذين اتقوا ..) لئلا يوهم — أى الوصل — الظرفية بيسخرون . والمعنى حتى لا تتعدى السخرية الى المتقين يوم القيامة . ان السخرية بالمؤمنين فى الدنيا أما يوم القيامة فلا . فمتى لا يتوهم بالوصل تعدى السخرية الى يوم والقيامة يلزم الوقف . وتبقى جملة والذين اتقوا مستأنفة أخبر الله بها أنهم — أى المتقين — فى عليين والكافرون فى أسفل سافلين .

وانما قال تعالى : (والذين اتقوا) . بعد قوله (من الذين آمنوا) ليدل على أنهم متقون ، وأن استعلاءهم بالتقوى وايثار الجملة الاسمية

للدلالة على دوام مضمونها ، واذا قال النيسابورى (من الذين آمنوا) لازم لأن (والذين اتقوا) مبتدأ وفوقهم خبره ولو وصل صار فوقهم ظرف ليسخرن • أو حالا لفاعل يسخرون وقبحه ظاهر •

ان الوصل يوهم فوق ذلك أن جملة والذين اتقوا ليست معطوفة على جملة (زين للذين كفروا) بينما هى معطوف عليها •

وقال تعالى « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) البقرة / ٢٥٣ •

الوقف على (بعض) تام لأنه لما قال فضلنا بعضهم على بعض أى بالطاعات انقطع الكلام • واستأنف كلاما فى صفة منازل الأنبياء مفصلا ففضيلة كل واحد بخصوصية ليست لغيرهم كتسمية ابراهيم خليلا ، وموسى كليما ، وارسال محمد صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة ، أو المراد فضلهم بأعمالهم ، فالفضيلة فى الأول شىء من الله تعالى لأنبيائه والثانية فضلهم بأعمالهم التى استحقوا بها الفضيلة فقال فى صفة منازلهم فى النبوة غير الذى يستحقونه بالطاعة ، منهم من كلم الله يعنى موسى عليه السلام ،، ورفع بعضهم درجات يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم • ولو وصل لصار الجار (منهم) وما عطف عليه صفة لبعض فينصرف الضمير فى بيان المفضل بالتكليم الى بعض فيكون موسى من هذا البعض المفضل عليه غيره لا من البعض المفضل على غيره بالتكليم •

ولقد ذكر المفسرون أن قوله (منهم ••) تفصيل للتفضيل الذى ذكر اجمالا والعهد بالتفصيل ألا يعطف على المفصل • وبذا أفاد الوقف أنه يمكن أن تعد جملة (منهم من كلم الله) جوابا لسؤال تستلزمه الجملة السابقة عليها معناه كيف ذاك ؟ فأجيب (منهم من كلم الله) الخ •

وفى قوله تعالى : « قل ان تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ، ويعلم ما فى السموات والأرض ، والله على كل شىء قدير » ٢٩ / آل عمران .

يلزم الوقف على (يعلمه الله) فبه تم المعنى بوجود الجزاء مع الشرط . وعليه فما بعده ابتداء كلام . قال أبو السعود (ويعلم ما فى السموات والأرض) كلام مستأنف غير معطوف على جواب الشرط وهو من باب ايراد العام بعد الخاص تأكيدا له وتقريرا .

والوقف هنا أكد معنى الاستئناف فى الواو فهى ليست عاطفة كما أنها تأكيد وتقرير للأمر السابق وهو علم الله بالظاهر والباطن ذلك لأنه يعلم ما فى السموات والأرض كما أن اختيار لفظ (الله) وهو لفظ الجلالة لتربية المهابة فى النفوس حتى لا تضمر النفوس شرا فهو بمثابة الانذار اما اذ هى أضمرت شرا — ان الوصل قراءة فى هذا الوطن يوهم أن علم الله تعالى يتوقف على ذلك الشرط السابق فى حين أنه ليس كذلك فعلمه سبحانه مطلق .

ان الواو هنا استئنافية والوقف أكد ذلك فيها وأبان أن مابعده علة لما قبله وليس داخلا تحت الشرط السابق فذلك مما لا يتناسب مع قدرة وسعة علم الله . قال الجلال (ويعلم ما فى السموات والأرض) وهو يعلم ما فى السموات والأرض.قال الجمل قوله : وهو يعلم اشارة الى أن ويعلم مستأنف وليس مفسوقا على جواب الشرط وذلك أن علمه تعالى بما فى السموات وما فى الأرض غير متوقف على شرط فلذلك جىء به مستأنفا وهذا من باب ذكر العام بعد الخاص وهو ما فى صدوركم تأكيدا له وتقريرا . فان قيل وجه ذكر العلم بخفيات الضمائر ظاهر فما وجه ذكر العلم بما يبدو ويظهر منها ؟ فالجواب أن الغرض من ذكره أن علمه تعالى بما خفى وما ظهر فى مرتبة واحدة فليس بينهما تفاوت بل كل منهما ظاهر عنده .

ان معالجة جميع مواطن الوقف اللازم والممنوع فى القرآن الكريم تحتاج الى دراسة مستقلة نحن بسبيلها ان شاء الله .

ان الوقف على موطنه يترك فرصة للفكر كى ينشط كما أنه يعطى مهلة للتأمل والتدبر انه يدعو اذا أتقن العلم به الى الاقبال وحسن الانصات والتأليف بين المتقابلات فهو يجمع بين الامور المتشابهة فى قرن لذا رأى علماء الوقف أن المستحب للقارىء أن يراعى فى الوقف الازدواج والمعادل والقرائن والنظائر . قال ابن نصير النحوى : فلا يوقف على الأول حتى يأتى بالمعادل الثانى لأنه به يوجد التمام وينقطع تعلقه بما بعده لفظا نحو :

« لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » ـ « فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه » ـ « يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل » ، « من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها » .

ذلك لأن مراعاة النظير ، والمقابلة بين الأمور مما يكسب الكلام قوة وجلالا ويبرز المعانى واضحة لأن التقابل يظهر الحسن بين المتقابلين .

قال الاشمونى : فى أول سورة البلد « لا وقف من أولها الى لقد خلقنا الانسان فى كبد تام للابتداء بالاستفهام »(١) .

ترى لماذا ـ لأنه جمع بين القسم وجوابه ـ حتى يتسق الكلام وكذا سورة الشمس لا وقف من أولها الى (قد أفلح من زكاها) وكذا سورة الليل من أولها (ان سعيكم لشتى) وهو جواب القسم .

قال الرضى : اذا تكررت الواو بعد واو القسم كما هنا ـ أى فى سورة الليل : والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى ان سعيكم لشتى ـ فمذهب سيبويه والخليل أن المتكررة

---

(١) منار الهدى سورة البلد .

واو العطف ، وقال بعضهم هى واو القسم ، والأول أجود وذلك أنها لو كانت للقسم لكانت بدلا من الباء ولم تفد العطف وربط المقسم به الثانى وما بعده بالأول ، ؟بل يكون التقدير أقسم بالليل ، أقسم بالنهار، أقسم بما خلق الذكر والأنثى • فهذه الثلاثة كل واحد منها لابد له من جواب فيطلب ثلاثة أجوبة ، فان قلنا : حذف جوابان استغناء بما بقى فالحذف خلاف الأصل ، وان جعلنا الواحد جوابا للمجموع فهو خلاف الأصل أيضا ، فلم يبق الا أن نقول : القسم شىء واحد والمقسم به ثلاثة والقسم هو الطالب للجواب لا المقسم به فيكون جوابا واحدا فكأنه قال : أقسم بالليل والنهار وما خلق الذكر والأنثى ان سعيكم لشتى •

وكذا اذا كان ما استفهم عنه أمورا متعددة فان الاستفهام يتطلبها جميعها وهى تتدرج تحته قال تعالى « ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك» فلا وقف من أولها الى ذكرك فلا يوقف على صدرك لأن ما بعده معطوف على ما قبله وداخل معه فى اتساق الكلام الواقع عليه بالاستفهام ومن وقف على (صدرك) لم يعرف ان لم تجعل المستقبل ماضيا(١) •

عن مجاهد فى قوله « ورفعنا لك ذكرك قال : لا أذكر الا ذكرت : أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله •

والقاعدة فى المقسم : وما عطف عليه « أن ما عطف بالفاء هو من وصف المقسم به قبل الفاء ، وما عطف بالواو هو مغاير لما قبلها ومشعر بالتغاير وهو موضوعه فى لسان العرب(٢) •

---

(١) منار الهدى ٤٢٩ •
(٢) نفس المرجع ٤١٧ •

واتصال الكلام بعضه ببعض له صور كثيرة ومعارض متعددة فهناك من الاتصال ما يقتضى الوصل وعدم الوقف ، وهناك منه ما يقتضى الوقف •

قال الأشمونى : فى سورة الأعلى :

« سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى » •

لا وقف من قوله الذى خلق فسوى الى : أحوى لاتصال الكلام بعضه ببعض • لذا فالوقف هنا تام • وأحوى بمعنى أسود ، وهو حال من المرعى •

قال الداتى : ومثله ــ أى فى التمام ــ (وما يخفى) ومثله (ان نفعت الذكرى) ومثله (ولا يحيى) ، ومثله (فصلى) ، ومثله (خير وأبقى) كل هذه وقوف تامة •

معنى ذلك أن الكلام قد استوفى معناه وظهر المراد به •

أما عن ذلك الاتصال الذى يربط بين هذه الجمل فمرجعه الى أنها كلها بمثابة جواب عن سؤال مقدر أشار له الخطيب بقوله ولما أمر تعالى بالتسبيح فكأن سائلا قال : الاشتغال بالتسبيح انما يكون بعد معرفة الرب فما الدليل على وجوده تعالى فقال : الذى خلق ••• الخ •

أما المقطع الثانى : سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى : قال أبو السعود : فلا ننسى بيان لهداية الله الخاصة برسوله صلى الله عليه وسلم اثر بيان هداية الله العامة لكافة مخلوقاته وهى هدايته عليه السلام لتلقى الوحى وحفظ القرآن وهدايته للناس أجمعين • وفى قوله سنقرئك فلا تنسى ازالة لخوف رسول الله صلى الله عليه وسلم من النسيان •

المقطع الثالث : (ونيسرك لليسرى) جملة تامة وما تعلق بها • وهى عطف على (سنقرئك) فهو داخل فى حيز التنفيس وما بينهما اعتراض وارد للتعليل •

المقطع الرابع : (فذكر ان نفعت الذكرى) (سيذكر من يخشى) •

قال الرازى : « اعلم أنه تعالى لما تكمل بتيسير جميع مصالح الدنيا والآخرة أمر بدعوة الخلق الى الحق ، لأن كمال حال الانسان فى أن يتخلق بأخلاق الله سبحانه تاما وفوق التمام فلما صار محمد صلى الله عليه وسلم تاما بمقتضى قوله (ونيسرك لليسرى) أمر بأن يجعل نفسه فوق التمام بمقتضى قوله (فذكر) لأن التذكير يقتضى تكميل الناقصين وهداية الجاهلين ومن كان كذلك كان فياضا للكمال فكان تاما وفوق التمام » اهـ •

أما قوله تعالى : سيذكر من يخشى فهذا من ينتفع بالتذكير على حد قوله تعالى انما أنت منذر من يخشاها • وقوله ويتجنبها الأشقى هو الفريق الثانى فلابد فى كل انذار من منتفع به ومعرض عنه •

ثم جاء الحديث عن ذلك الأشقى بأنه (الذى يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى) •

أما قوله تعالى : (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى) • فهو ذكر للوعد بعد ذكر الوعيد •

وقوله تعالى : (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) • فهو اضراب عن مقدر ينساق اليه الكلام كأنه قيل : اثر بيان ما يؤدى الى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية وجملة

والآخرة خير وأبقى حال من فـاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ والعتـاب أى تؤثرونها على الآخرة والحال أن الآخرة خير(١) .

وترتبط الجملة «أن هذا لفى الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى» بما سبق باسم الاشارة لأنه يعود على كل ما سبق أو الى ما ذكر من قوله (قد أفلح من تزكى) فاسم الاشارة هذا هو مـع (ان) يربطان اللاحق بالسابق أوثق رباط . لأن هذا الموطن ممـا تختص الاشارة به اذ يجمع ما سبق ويوجزه ويشير اليه بحيث تستحضره أمامك .

أرأيت هذا الاتصال بين الجمل كيف كان وثيقا ، وكيف تسـوف الأولى الى الثانية أرأيت تلك الروح السارية ؟ أرأيت هذا التناغى بين الجمل والتناجى وهـذا الاقتراب والتـدانى وكيف أن دراسة النظـم القرآنى ، ومعايير البلاغة تحت ظلال الوقوف يضيف معيارا آخـر فى فهم الأعجاز والاطلاع على بلاغة هذا الكتاب العزيز .

ـ وقد يكون الوقف على موضع فيه بيان لأمر خفى أو اشارة الى حكم فقهى ولذلك عد علماء القرآن من أنواع الوقف نوعا يسمى :

وقف البيـان :

وهو أن يبين به معنى لا يظهر هذا المعنى بدونه ...

ففى الآية الكريمة : « انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا » ٩ / الفتح .

وقف أبو حاتم السجستانى على (ونذيرا) وعلى (وتوقره) فرقا بين ما هو صفة الله وصفة للنبى صلى الله عليه وسلم ووسمه بالتـام

---

(١) انظر فى ذلك تفسير الرازى وأبو السعود وحاشية الجمل على الجلالين فى هذه السورة سورة الأعلى .

وقال ، لأن التعزير والتوقير للنبى صلى الله عليه وسلم ، والتسبيح لا يكون الا لله تعالى • فالوقف أظهر هذا المعنى المراد •

على أن ابن عباس قرأ (ويعزروه) بزايين من العزة وخولف فى ذلك ، لأن قوله (ويسبحوه) موضعه نصب عطفا على (ويوقروه) وكان الأصل ويسبحونه فحذف النون علامة النصب ، فكيف يتم الوقف على ما قبله مع وجود العطف على هذه الصفة ، والهاء فى (يسبحوه) تعود على الله تعالى ، والهاء فى يوقروه تعود على النبى صلى الله عليه وسلم فالكلام واحد متصل بعضه ببعض والكناية مختلفة كما ترى(١) • وقد رأى أبو عمرو أن الوقف على (وتعزره وتوقره) كاف وهو للنبى صلى الله عليه وسلم وما بعده لله تعالى اذ التسبيح لا يكون الا لله عز وجل والوقف التام على (أصيلا) ولاشك أن ذلك جار على رأى من يفرق بين الضمائر • وعلى أن جملة (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزره وتوقروه) بيان لفائدة الارسال مخاطب بها الناس ، أما على أساس أن الضمائر كلها لله لاتساقها فلا يوجد هذا النوع من الوقف •

واتحاد أجزاء الكلام وارتباط بعضها ببعض له صور كثيرة وليس لما يجىء على ذلك حد يحصره أو قانون يحيط به فانه تجىء على أنحاء شتى ووجوه مختلفة فمن ذلك•أن تزاوج بين معنيين فى الشرط والجزاء معا كقول البحترى :

اذا ما نهى الناهى فلج بى الهوى أصاخت الى الواشى فلج بها الهجر

وقوله : اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها لقد ترتب على نهى الناهى ثم لجاج الهوى الأصاخة الى الواشى فلجاج الهجر •

---

(١) منار الهدى /٣٦٤ •

وكذا الأمر فى البيت الثانى احتراب وفيض دماء يترتب عليه تذكر القربى وفيض الدموع لذا استحب للقارىء أن يراعى فى وقـوفه ذلك كما سبق أن نبهنا عليه ، ويحدث الوقف بين الأمور المتقابلة ضربا من التوازن والتكافؤ والتجانس والتناسب ولذلك حسنت ألوان الجنـاس والسمع والازدواج والمقابلة والمشاكلة ، ورد الأعجاز على الصـدور وروعيت من أجل ذلك فى الكلام لتحدث نوعـا من الخلابة ، وتأثيرا فى النفوس ، فاذا قدمت ألفاظ تقتضى جوابا فالمرضى أن تأتى بتلك الألفاظ فى الجواب ولا تنتقل عنها الى غـيرها مما هو فى معناها ، وهذا هو رد العجز على الصدر • واذا قسم الكلام فالجيد من ذلك أن تكون أقسامه مستوية تحتوى على جميع أنواعه ولا يخرج منها جنس من أجناسه ، واذا فسر ، فصحة التفسير أن تشرح المعانى التى تحتاج الى تبيين شرحا يأتى على تلك المعانى من غير عدول عنها أو زيادة تزاد فيها ، والمناسبة بين مقاطع الفصول مطلوبة وتركهـا عيب ، ولأجل ذلك ارتكبت الضرورات وغيرت الألفاظ وفى أبواب السجع والازدواج دراسة وافية عن ذلك(١) •

عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه كان يعوذ الحسن والحسين عليهما السلام فيقول : أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة » فلم يقل ملمة مع أنها القياس لأجل المناسـبة مع (التامة) و (هامة) ومعنى لامة ذات لمم وهو طرف من الجنون يلم بالانسان أى يقرب منه ويعتريه والأصل على هذا مامة أو موتعـة فى اللمم •

وورد عنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « خير المال سـكة مأبورة ، ومهرة مأمورة ، فقال ــ مأمورة ــ لأجل المناسبة ، والمستعمل مؤمرة • أى كثيرة النتاج كمـا قرىء واذا أردنا أن نهلك قـرية أمرنا مترفيها ، أى كثرنا •

---

(١) راجع سر الفصاحة لابن سنان ، الصناعتين لأبى هلال •

قال ابن سنان : ومن شروط الفصاحة المناسبة بين اللفظين من طريق الصيغة والمناسبة بينها من طريق المعنى ومثال ذلك ما رواه أبو الفتح عثمان بن جنى قال : قرأت على أبى الطيب قوله :

وقد صارت الأجفان قرحا من البكى وصار بهارا فى الخدود الشقائق

فقلت : قرحى ، فقال انما قلت قرحا لأن قلت بهارا .

يعنى أنه قال قرحا بالتنوين جمع قرحة وهى اسم لا وصف كما أن بهارا جمع بهارة .

فى قوله تعالى : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » قال الأشمونى (والنهار) ليس بوقف ، لأن ما بعده وهو : (لتسكنوا فيه) علة لما قبله وهو الليل . وقوله : (ولتبتغوا من فضله) علة للنهار .

وجعل علماء البلاغة هذه الآية مثالا لصحة التفسير الذى عرفوه بأنه : ايراد معان تحتاج الى شرح أحوالها فاذا شرحت بتلك المعانى من غيرعدول عنها أو زيادة تزاد فيها . انه ليس ثمة فرق كبير بين ما قاله علماء النقد والبلاغة وما قاله علماء القرآن . فكما تلازم العلة المعلول عند هؤلاء ، يلازم الشرح والتفسير المشروح والمفسر عند الآخرين .

والعادة فى اسلوب التشبيه ذكر الطرفين ليتم المعنى ويحصل المقصود ، فلا يحسن الوقف على المشبه دون المشبه به .

لذا قيل فى قوله تعالى (أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) القصص / ٦١ .

قال الأشمونى : فهو لاقيه ليس بوقف لأن التشبيه بعده تمام الكلام • ذلك أن همزة التسوية تتطلب لأول وهلة أمرين اثنين أو أمورا يقاس بعضها ببعض نفيا أو اثباتا فاذا ذكر أحد الطرفين تطلب الطرف الثانى لتحدث الفائدة ويتم المعنى • وبالوقف على (فهو لاقيه) لا تحدث فائدة ولا يتم معنى •

ويختلف علماء الوقف فى بعض أنواعه لاعتبارات عديدة •

فقد يكون الوقف تاما على تفسير واعراب وقراءة غير تام على أخرى •

وقد يكون الوقف على اعراب ولا يكون على اعراب آخر •

ففى قوله تعالى « اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا ، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة » آل عمران / ٥٥ •

قال الدانى : (مطهرك من الذين كفروا) تام اذا جعل ما بعده للنبى عليه السلام بتقدير وجاعل الذين اتبعوك يا محمد فهو منقطع مما قبله لأنه استئناف خبر لمبتدأ محذوف وذلك الوجه لأن الخبر عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يؤيده ••• عن ثوبان قال : ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ : لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله(١) • فعلى أساس أن الكلام من أول قوله (وجاعل الذين اتبعوك) لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ــ يكون منقطعا عما قبله لفظا ومعنى ، فهو استئناف خبر له ، ولو أريد بالخطاب عيسى فليس بوقف • وبذلك قال ابن الأنبارى وقد رجح الأشمونى أن يكون المذكور فى (وجاعل) لعيسى أيضا لكون

---

(١) المكتفى /١٤٤ •

الكلام مع اليهود الذين كفروا به ورموا قتله فمن وقف مريدا اختلاف الخطابين فقد تم الكلام على (ومطهرك من الذين كفروا) والا فلا • وذلك مرجعه الى اختلاف التفسير •

وفى قوله تعالى « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » ٥٩ / آل عمران •

قال الاشمونى :(كمثل آدم)(١) حسن وليس بتام ولا كاف،لأن خلقه من تراب تفسير للمثل وهو متعلق به فلا يقطع منه • وقال يعقوب : تام (وخلقه من تراب) مستأنف وانما لم يكن خلقه متصلا به لأن الأعلام لا يتصل بها الماضى ، فلا تقول : مررت بزيد قام ، لأن قام لا يكون صفة لزيد ولا حالا ، لأنه قد وقع وانقطع ، فان اضمرت فى الكلام (قد) جاز أن يتصل الماضى بالأعلام لأن الجمل بعد المعارف أحوال ، وفى جملة (خلقه من تراب) وجهان : أظهرهما أنها مفسرة لوجه التشبيه فلا محل لها من الاعراب ، والثانى أنها فى محل نصب على الحال من آدم و(قد) معه مقدرة لتقربه من الحال والعامل فيها معنى التشبيه والضمير فى خلقه عائد على آدم لا على عيسى لفساد المعنى • وعلى هذا فالوقف للاستئناف على تقدير سؤال كأنه قيل ما المثل فقال خلقه من تراب أى المثل خلقه من تراب • قال العكبرى ويضعف أن يكون حالا لأنه يصير تقديره خلقه كائنا من تراب وليس المعنى عليه •

ويرجح كون جملة خلقه من تراب تفسيرية استئنافية كما ينبىء الوقف عليها قول العلامة أبو السعود : كمثل آدم أى كحاله العجيبة التى لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع (خلقه من تراب) تفسير لما أبهم فى المثل وتفصيل لما أجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه بينهما ، وحسم لمادة شبه الخصوم فان انكار خلق عيسى

---

(٢) الموقف الحسن عنده هو الذى يتصل ما بعده بما قبله لفظا لا معنى •

عليه الصلاة والسلام بلا أب ممن اعترف بخلق آدم عليه الصلاة والسلام بغير أب وأم مما لا يكاد يصح والمعنى خلق قالبه من تراب وبذا ترجح الوقف لأن ما بعد الوقف جملة استئنافية جيء بها لتفسير المثلية التى اتصف بها آدم وبذلك يزول وجه الغرابة .

ولقد ذكر الامام عبد القاهر : أن من المواضع التى يطرد فيها حذف المبتدأ القطع والاستئناف ، يبدأون الكلام بذكر الرجل ويقدمون بعض أمره ، ثم يدعون الكلام الأول ، ويستأنفون كلاما آخر ، واذا فعلوا أتوا فى أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ كقولهم فتى من صفته كذا . وشجاع يفترس أقرانه أى هو فتى ، وهو شجاع(١) .

وفى قوله تعالى « من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون » ١٨٦/الأعراف .

من قرأ (ويذرهم) بالرفع وقف على ما قبله وابتدأ به لأنه مستأنف بتقدير عطف جملة تامة على جملة تامة سواء قرأ ذلك بالياء أو بالنون الا أن الابتداء بالنون أحسن من الياء لاستئناف النون ، وتعلق الياء من طريق المشاكلة باسم الله تعالى فى المتقدم ذكره ، ومن قرأ ذلك بالجزم لم يقف على ما قبله ولا ابتداء لأنه معطوف على موضع الفاء ، وما بعدها من قوله (فلا هادى) ١٨٦ فلا يقطع من ذلك « كأنه قيل من يضلل الله لا يهده أحد ويذرهم » الكشاف .

ومن هذا النوع أيضا قوله تعالى : « ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » ٤١ ــ ٤٢ فصلت .

---

(١) الدلائل /١٤٩ وما بعدها .

فجملة (تنزيل من حكيم حميد) خبر مبتدأ محذوف أو صفة أخرى لكتاب مفيدة لفخامته الاضافية كما أن الصفتين السابقتين — وهو وصفه بالعزة(١) ، وعدم تطرق الباطل اليه — مفيدان لفخامته الذاتية .

الوقف على (لما جاءهم) كاف عند من جعل خبر ان محذوفا تقديره : لهم عذاب شديد وليس بوقف ان جعل خبر ان (أولئك ينادون) (عزيز) جائز وان كان (لا يأتيه الباطل) من تمام صفة النكرة ، لأنه رأس آية . (ولا من خلفه) كاف(٢) (حميد) تام .

فالملاحظ شدة الارتباط واتصال الجمل ببعضها مما يؤذن بعدم الفصل الا أن المجوز للوقف على عزيز كونه رأس آية لأن جملة لا يأتيه الباطل صفة لكتاب والصفة تتصل بالموصوف وتقدير المبتدأ قبل هذه الجملة مما يتعسف فيه لأن النفي يكون دليل الابتداء عادة ، لذا كان الوقف على (ولا من خلفه) أنسب ، لأن تنزيل نكرة وقد تقدم ما يوضح أمر هذا الكتاب من الصفتين السابقتين واثراء للفائدة بنيت هذه الجملة على الاستئناف بتقدير مبتدأ ، على حد قول الشاعر :

اعتاد قلبك من ليلى عوائده
وهاج أهواءك المكنونة الطلل
ربع قواء أذاع المعصرات به
وكل حيران سار ماؤه خضل

ذكر في البيت الأول أن الطلل هاج الأهواء المكنونة ، ثم استأنف

---

(١) الألوسي / تفسيره جـ ١٢٧/٢٤ .
(٢) الوقف الكافي هو ما يتصل ما بعده بما قبله معنى لا لفظا .

كلاما ذكر فيه الديار فقال : ربع قواء .. ليستأنف معنى جديدا ويضع أيدينا على معالم هذا الربع ويبصرنا بصفاته(٣) .

وهكذا الأمر فى الآية الكريمة فبناء هذه الجملة على الاستئناف فيه زيادة فائدة وتقدير لما تقدم من الصفات وتأكيد .

قال الامام . فى حذف ذلك المبتدأ « ومما اعتيد فيه أن يجىء خبرا قد بنى على مبتدأ محذوف قولهم بعد أن يذكروا الرجل : فتى من صفته كذا وأعز من صفته كيت وكيت . وقال فى هذا النوع من الحذف « انك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الافادة أزيد للافادة وتجدك أنطق ما تكون اذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا اذا لم تبن . لقد هيأ الوقف على قوله (ولا من خلفه) الفرصة لكى ينشط الذهن فيسأل ولما هذا وكيف ؟ فجاءت جملة (تنزيل من حكيم حميد) لترد على هذا السؤال وتقرر ما اتصف به هذا الكتاب ويؤكده .

والوقف قد يدعو اليه داع غير الاستعانة على التلاوة وغير ما سبق أن ذكرنا فهو قد يكون على كلمة لاجتناب تكريرها فى القرآن تكريرا من غير فصل .

اقرأ ان شئت قوله تعالى :

« فلينظر الأنسان مم خلق خلق من ماء دافق » ثم صل خلق الثانية بـ خلق الأولى من غير وقت انك تكاد تفتد روعة المعنى ويضيع منك بهاء التلاوة . قال الأشمونى : والوقف على خلق الأول تام ان جعل خلق الثانى مستأنفا ، وليس وقفا ان جعل تفسيرا للأول اذ لا يفصل بين المفسر والمفسر بالوقف . والوقف على مم خلق كاف عند الدانى ورأس آية .

---

(٣) دلائل الاعجاز /١٣٧ .

وأرى أن هذه تفسيرا بعيد ذلك لأن بين السؤال والجواب خلاف ما بين التفسير والمفسر قد يكون فى مقام وذاك فى آخر ، زد على هذا أن السابق سؤال مم خلقه ؟ والسؤال يقتضى جواب فجملة خلق الثانية جواب للسؤال السابق عليها مم خلق ؟ قال القرطبى : ومم خلق استفهام ، أى : من أى شىء خلق ؟ ثم قال : (خلق) وهو جواب الاستفهام(١) • وهذا أوفق مع ما بنيت عليه ، على أن الوقف على كلمة قواريرا الأولى فى قوله تعالى : « ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا • قوارير من فضة قدروها تقديرا » ليس فى قوة ما كان فى سورة الأعلى لأن هذا ليس سؤالا وجواب وانما هو تفسير وبيان — لكن يرجح الوقف كونه رأس آية وبناء الفواصل ، ويرجح الوصل كونه تفسير وبيان • وقوله (قوارير من فضة) أفادت أن هذه الأكواب جمعت بين صفاء الزجاجة وشفيفها واين الفضة وبياضها فالجملة كلها (كانت قوارير قوارير من فضة) صفة الأكواب — وكان من يكون فى قوله (كن فيكون) أى تكونت قوارير بتكوين الله تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشأن الجامعة بين صفتى الجوهرين المتباينين ومنه كان فى قوله (كان مزاجها كافورا)(١) •

كما أنه يرجح الوقف أيضا القراءة الثانية بالرفع على معنى هى قوارير من فضة وبذا فالوقف أفاد معنى جديدا ما نوع هذه القوارير ؟ قيل : هى من فضة • لأن ما يكون من جملتين أكثر مما يكون من جملة واحدة ، والوقف فى هذا الموطن والسابق دفع توهم أن ذلك من باب التكرير •

« واذا تقاربت الوقوف بعضها من بعض لا يوقف عند كل واحد

---

(١) تفسيرة سورة الطارق •

(١) الكشاف / سورة الانسان

ان ساعده النفس وأن لم يساعده وقف عنـد أحسنها ، لأن ضيق النفس عن بلوغ التمام يسوغ الوقف »(٢) .

فالتنسيق بين الوقوف المتقاربة يكون على حسب ما يقتضى السياق وما يفى بالمعنى ولهذا فهناك التام والأتم فمثلا قوله تعالى « قل اللهم مالك الملك » لم يغتفروا القطع عليه لقربه من (تؤتى الملك من تشاء) وأكثرهم لم يذكر (تؤتى الملك من تشاء) لقربه من (وتنزع الملك ممن تشاء) وكذا لم يغتفر الكثير منهم الوقف على (وتعـز من تشاء) لقربه من (وتذل من تشـاء) وبعضـهم لم يرض الوقف على (وتذل من تشاء) لقربه من (بيدك الخير) .

وكذلك لم يرضوا الوقف على (تولج الليل فى النهـار) وعلى (تخرج الحى من الميت) لقربه من (وتولج النهار فى الليـل) ومن (وتخرج الميت من الحى)(١) .

واذا قصرت الجمل فقد لا يحسن الوقف ولا يغتفر . ففى قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتـاب ، وآتينا عيسى بن مريم البينات) لقرب الوقف على (بالرسل) وعلى [القدس] فى الآية الكريمـة « ولقد آتينا موسى الكتـاب وقفينا من بعـده بالرسل وآتينـا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس » ٨٧/ البقرة .

وهناك لون من ألوان الوقوف يسمى وقف المراقبة .

حاصله : أن يكون هناك موطنان يجوز الوقف على كل منهما لكن اذا وقف على أحدهما امتنع الوقف على الآخر . وعلامة هذا الوقف فى بعض المصاحف هكذا (∴) .

---

(٢) منار الهـدى / ٩

(١) النشر ١/ ٢٢١

وذلك كمن أجاز الوقف على (فيه) فانه لا يجيزه على (لاريب) وبالعكس • فى الآية الكريمة « ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين » •

وأنت اذا وقفت على (لاريب) فبم يتعلق ذلك الجار وعلام يعود ذلك الضمير الذى فى (فيه) •

والمشهور الوقف على (فيه) وعليه يكون الكتاب نفسه هدى وهو أوفق بما يجب للقرآن • أما الوقف على (لاريب) فمروى عن نافع وعاصم والخبر محذوف وذهب الزجاج الى جعل (لاريب) بمعنى حقا فالوقف عليه تام الا أنه دون الأول • قال الأشمونى : والوقف على (لاريب) تام ان رفع هدى بغيه أو بالابتداء وفيه خبره • وكاف ان جعل خبر لا محذوفا لأن العرب يحذفون خبر لا كثيرا فيقولون لا مثل زيد أى فى البلد •

والوقف على فيه تام ان رفع هدى بالابتداء خبره محذوف ، أو رفع بظرف محذوف غير المذكور تقديره فيه هدى • وكاف ان جعل خبر مبتدأ محذوف أى هو ، وحسن ان انتصب مصدرا بفعل محذوف ، وليس بوقف ان جعل (هدى) خبرا لذلك الكتاب أو حالا منه أو من الضمير فى (فيه) أى هاديا أو من (ذلك) وفى قوله تعالى :

« ولا يأت كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليمل الذى عليه الحق ••• » فالواقف على قوله (ولا يأبى كاتب أن يكتب) يراقب الوقف على قوله (كما علمه الله) اذا وقفت على أيهما فلا تقف على الثانى فلو وقف على الموضعين انبهم المعنى وانحل النظم فالابتداء بالجملة (كما علمه الله) والوقف على لفظ الجلالة بعد الوقف الأول لا يؤدى كبير فائدة ولا تجد للضمير فى (علمه) مرجعا لأنها بعد الوقف الأول كأنها جملة منفردة فى فراغ وحدها والضمائر لابد أن تعود على مرجع وعلى ذلك فلابد أن تتصل بما قبلها من النظم أو بما بعدها ، فلو وصلت بما قبلها كان المعنى : ولا يمتنع أحد من الكتاب أن

يكتب كتاب الدين كما علمه الله على طريقة ما علمه الله كتبه الوثائق ، أو كما بينه بقوله تعالى بالعدل ، أو لا يأبى أن ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله تعالى بتعليم الكتابة كقوله تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة ، وأمر بها بعد النهى عن ابائها تأكيدا لها .

وعلى أن جملة (كما علمه الله) متعلقة بما بعدها تكون الكاف متعلقة بالأمر (فليكتب) على أن يكون النهى عن الامتناع منها مطلقة ثم الأمر بها مقيدة . أترى هذا الثراء فى المعنى كان يتضح لو وقف على الموضعين معا . اذا قال علماء الوقف ان الواقف على أحد هذين الموضعين عليه أن يراقب الوقف على الموضع الآخر حتى يتصل بعض الكلام ببعض فيلتحم النسج ويتضح المعنى . وعمدة الأمر أن الفصاحة لا توجب للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذى هى فيه . ولكنها تجب لها موصولة بغيرها ومعلقا معناها بمعنى ما يليها ، وبفضل مؤانستها لأخواتها تكون بلاغتها ولهذا فانه اذا تقاربت الوقوف اختار الواقف أحسنها ثم وقف عليها قال الأشمونى : ومن وقف على (ولا يأب كاتب أن يكتب) ثم يبتدىء كما علمه الله فليكتب فقد تعسف . لذا فقد عد الوقف الحسن على كما علمه الله وعلى فليكتب اذا علقت بها الكاف .

ولا يحسن أن يتعسف فى الوقف وذلك بالحمل على وجوه الأعراب البعيدة فذلك تكلف تنأى عنه بلاغة القرآن الكريم .

ـ قال الأشمونى « ليس كل ما يتعسفه القراء مما يقتضى وقفا يوقف عليه» .... وذلك كأن يقف على (ثم جاؤك يحلفون) ثم يبتدىء (بالله ان أردنا) ونحو : (وما تشاؤن الا أن يشاء) ثم يبتدىء (الله رب العالمين) ونحو (فلا جناح) ثم يبتدىء (عليه أن يطوف بهما) .. ونحو (يا بنى لا تشرك) ثم يبتدىء (بالله ان الشرك لظلم عظيم) وذلك خطأ لأن باء القسم لا يحذف معها الفعل ، بل متى

ما ذكرت الباء تعين الاتيان بالفعـــل كقوله (وأقسموا بالله) (يحلفون بالله) ولا تجد الباء مع حذف الفعل فهذا كله تعنت وتعسف لا فائدة فيه وينبغى تجنبه وتحريه : لأنه محتمل تقليد وعلم العقل لا يعمل به الا اذا وافقه نقل(١) .

نعم قد يتغير الوقف على الاعراب ، فيكون تاما على اعراب وغير تام على آخر كما يتغير بحسب التفسير والوقوف على المعانى .

فعن ابن جنى فى (التائبون العابدون) التـــوبة / ١١٢ ويروى عن الأعمش (التائبين العابدين) قال أبو الفتح : أما وضع التائبون العابدون فعلى قطع واستئناف أى هم التائبون العابدون(٢) .

وقد ضرب الزركشى أمثلـــه لضرورة(١) العلم بأحكام النحـــو ، والتفسير والقراءات والمعانى وتغير الوقوف على حسب ذلك وقد اتضح مبلغ مراعاة أحكـــام النحو لتجنب الوقوف القبيحة والبعد عمـــا يوهم خلاف المراد .

وفى قوله تعالى (ويا قوم اعملوا على مكـــانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا انى معكم رقيب) هود / ٩٣ .

فللوقف على (انى عامل) حسن ثم يبتدى (سوف تعلمون) لأنه عيد فهو منقطع عما قبله وتعلمون ليس بوقف ولا رأس آية لأن من فى موضع نصب مفعول تعلمون وان جعلت من فى محل رفع بالابتـــداء والخبر يخزيه قال الفضل بن العباس كان تاما ورأس آية أيضا على

---

(١) منار الهدى / ١٨

(٢) المحتسب ١/٣٠٤ ، ٣٠٥

(١) انظر حـ ١/٣٤٤ من البرهان

الاستئناف • ورد بأنه ليس رأس آية اجماعا ويجوز أن تكون من استفهاميةوما بعدها الخبر • أى : سوف تعلمون الشقى الذى يأتيه عذاب يخزيه والذى هو كاذب أم غيرهما(٢) •

والواقف يحتاج الى ضرورة المعرفة بسير المعانى ففى قوله تعالى « فلا يصلون اليكما بآيتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون » القصص / ٣٥ قال الشيخ عز الدين الأحسن الوقف على (اليكما) لأن اضافة الغلبة الى الآيات أولى من اضافة عدم الوصول اليها لأن المراد من الآيات العصا وصفاتها وقد غلبوا بها السحرة ولم تمنع عنهم فرعون •

وكذا يستحب الوقف على (أو لم يتفكروا) والابتداء بقوله (وما بصاحبهم من جنة) الأعراف / ١٨٤ فان ذلك يبين أنه رد لقول الكفار « يأيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون » الحجر / ٦ • وقال الدانى انه وقف تام •

وكذلك الوقف على قوله تعالى « يوسف أعرض عن هذا » والابتداء بقول « واستغفرى لذنبك » يوسف/٢٩ فان بذلك يتبين الفصل الأمرين، لأن يوسف عليه السلام أمر بالاعراض ، وهو الصفح عن جهل من جهل قدره وأراد ضره ، والمرأة بالاستغفار لذنبها لأنها همت بما يجب الاستغفار منه ولذلك أمرت به ولم يهم بذلك يوسف عليه السلام ، ولذلك لم يؤمر بالاستغفار منه ، وانما هم بدفعها عن نفسه لعصمته ولذلك أكد بعض العلماء الوقف على قوله تعالى (ولقد همت به) والابتداء بقوله (وهم بها) وذلك للفصل بين الخبرين وقد قال الدانى انه كاف ، وقيل : تام وذكر بعضهم أنه على حذف مضاف أى هم بدفعها على هذا فالوقف على (همت به) كالوقف على قوله تعالى (لنبين لكم) والابتداء بقوله (وهم بها) كالابتداء بقوله (نقر فى الأرحام) الحج / ٥ •

---

(٢) منار الهدى / ١٨٩

ويختلف أمر الوقف باختلاف القراءات أيضا حيث يتغير المعنى ، والوقف كما قلنا يتبعه . فاذا قرأ القارىء (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس) الى قوله (قصاص) فهو التام اذا نصب (والعين بالعين) ومن رفع فالوقف عند : (أن النفس بالنفس) وتكون والعين بالعين ابتداء حكم فى المسلمين وما قبله فى التوراة »(١) وهو قوله تعالى « من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » سورة المائدة / ٣٢ .

وفى سورة المسد قرأ عاصم (حمالة الحطب) بالنصب وقرأ سائر القراء بالرفع فمن نصب فله تقديران : أحدهما ــ أن يجعل قوله (وامرأته) معطوفا على الضمير الذى فى (يصلى) وحسن العطف عليه لطول الكلام ، والتقدير سيصلى هو وامرأته ، فعلى هذا الوقف على قوله (وامرأته) ويحسن الابتداء بقوله (حمالة الحطب) لأنها تنصب على الذم لأنه بتقدير أعنى فالكلام كاف دونها لأنها فى موضع استثناء عامل .... والتقدير الثانى أن يجعل قوله (وامرأته) مرفوعا بالابتداء فعلى هذا لا يكفى الوقف على قوله (وامرأته) ولا يحسن الابتداء بـ (حمالة الحطب) لأنها وما نصبها خبر الابتداء .

ومن قرأ بالرفع فله فى المرأة تقديران : ــ أحدهما ــ على الابتداء وما بعده خبر الابتداء فعلى هذا يكفى الوقف على قوله (ذات لهب) لأن ما بعدها مستأنف .

والثانى : ــ الرفع بالعطف على الضمير الذى فى (سيصلى) فعلى هذا لا يكون الوقف دونها ومن كلا الوجهين لا يجوز الابتداء بقوله (حمالة الحطب) والوقف قبله سواء جعل نعتا للمرأة أو أخبر عنها

---

(١) البرهان للزركشى ١/٣٤٥

لأنه متعلق بما قبله ، فان رفع ذلك بتقدير هى حمالة الحطب جاز الابتداء به وكفى الوقف على ما قبله لانقطاعه منه(١) .

وفى قوله تعالى « حمعيسق كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم » الشورى / ١ ، ٢ « قرأه ابن كثير بفتح الحاء فى (يوحى) على ما لم يسم فاعله فيوقف فى قراءته على (قبلك) ويبتدىء (الله العزيز الحكيم) على التبيان لما قبله كأنه قيل : من يوحيه ؟ فيقال : الله العزيز ، فالمعنى على هذه القراءة كذلك يوحى اليك يا محمد مثل ما أوحى الى الأنبياء قبلك . وقيل معناه : أن الله جل ذكره أعلمه أن هذه السورة أوحيت الى الأنبياء قبل محمد . واليك يقوم مقام الفاعل ، أو يضمر المصدر يقوم مقام الفاعل .

وقرأ الباقون بكسر الحاء فلا يوقف الا على (الحكيم) لأنهم أسندوا الفعل الى الله جل ذكره فهو الفاعل فلا يوقف على الفعل دون الفاعل ولا على الفاعل دون نعته وهو الاختيار لأن الأكثر عليه »(٢) .

ـ الغرض من الوقف الخفيف وهو ما يرمز اليه فى المصحف بعلامات السكت . حرف (س) ويقال فيه سكتة لطيفة على كذا .

فى الكشف لمكى بن أبى طالب : عند حديثه عن وجوه سورة الكهف قال : قوله (عوجا) وقوله (من مرقدنا) يس / ٥٢ كان حفص يقف على (عوجا) وقفة خفيفة فى وصله وكذلك كان يقف على (مرقدنا) فى يس وعلى (من) فى قوله (من راق) القيامة / ٢٧ وعلى (بل) من قوله (بل ران) المطففين / ١٤ وحجته فى ذلك أنه اختار للقارىء أن يبين بوقفه على (عوجا) أنه وقف تام فان (قيما) ليس بتابع فى اعرابه لـ (عوجا) انما هو منصوب باضمار فعل تقديره : أنزله قيما وكذلك وقف على (مرقدنا) ليبين أن هذا ليس بصفة لـ (المرقد)

---

(١) المكتفى لأبى عمرو ٣٩٨/٣٩٩

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢ / ٢٥٠

وأنه مبتدأ ، وليبين أنه ليس من قول الكفـــار ، وأنه من قول الملائكة مستأنف ، وقيل هو من قول المؤمنين للكفار • وكذلك وقف على من فى (من راق) وعلى بل فى (بل ران) ليبين اظهار اللام والنون لأنهمـــا ينقلبان فى الوصل راء فتصير مدغمة فى الراء بعدها ويذهب لفظ اللام والنون ، وقرأ الباقون ذلك كله بغير وقف مروى عنهم • وحجتهم فى ذلك أنه كلام متصل فى الخط وأن الادغـــام فرع فلا كراهية فيـــه • واو ازم على اللام والنون ليظهر للزم ذك فى كل مدغم •

واو اختار متعقب الوقف على (موجا) وعلى (مرقدنا) لجميـــع القراء لكان ذلك حسنا لأن يفرق بالوقف بين معنيين فهو تمام مختـــار الوقف عليه •

ان الوقف مرآة للمعنى ، وبيان له ، وجمع للمتقابلين ، واقتـــران بين المزدوجين يبنى أمره على مراعاة أحكـــام النحو وقوانين النظـــم وتتبع مواطنه فى القرآن الكريم يوقفنا على سر آخر من أسرار اعجازه أو على الأقـــل يفتح لنا بابا حتى نصـــل الى أسرار اعجاز القـــرآن الكـــريم •

ونعلم بتعلم الوقوف العلاقات والقرائن وأحوال التشابه ومدى الصلات القائمة بين الآيات الكريمة التى هى صور للمعانى وما بينها من مناسبات وقد ضمنا ذلك كله وأكثر منه فى نظم القرآن وما علينا الا أن نلتزم قراءته قراءة معبرة وفق ما ترشد اليه أحكام الوقوف فالقرآن الكريم كتاب مقروء والتعبد انما هو بقراءته التى ترقى الى حد الفريضة، ان سلطة المزية لا يعظم فى شىء كعظمه فى هذا الأمر •

فمعرفة الوقوف (فن جليل) به يعرف كيف أداء القرآن ويترتب على ذلك فوائد كثيرة واستنباطات غزيرة وبه تتبين معـــانى الآيات • ويؤمن الاحتراز عن الوقوع فى المشكلات »(١) •

---

(١) البرهـان ١/٣٣٩